الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أبو بكر بلقايد –تلمسان–

كلية الآداب واللغات و الفنون – قسم اللغة العربية و أد

الملامح الشّرقية في ديوان (الشرقيات) للشّاعر الفرنسي "فيكتور هوجو" قصيدة غرناطة أنموذجا)

بحث مقدم لنيل أطروحة الدكتوراه في الأدب العربي

تخصص دراسات مقارنة

إعداد الطالبة:

عائشة قاسمي

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد العالي بشير

أعضاء اللجنة المناقشة

أ.د. موسوني محمد	رئيسا	جامعة تلمسان
أ.د. عبد العالي بشير	مقررا	جامعة تلمسان
أ.د. موساوي أحمد	عضوا	جامعة النعامة
أ.د سعيد عكاشة	عضوا	جامعة سيدي بلعباس
د. مراد قايد سليمان	عضوا	جامعة تلمسان
د. بغداد عبد الرحمان	عضوا	المركز الجامعي مغنية

الموسم الجامعي: 2018-2019

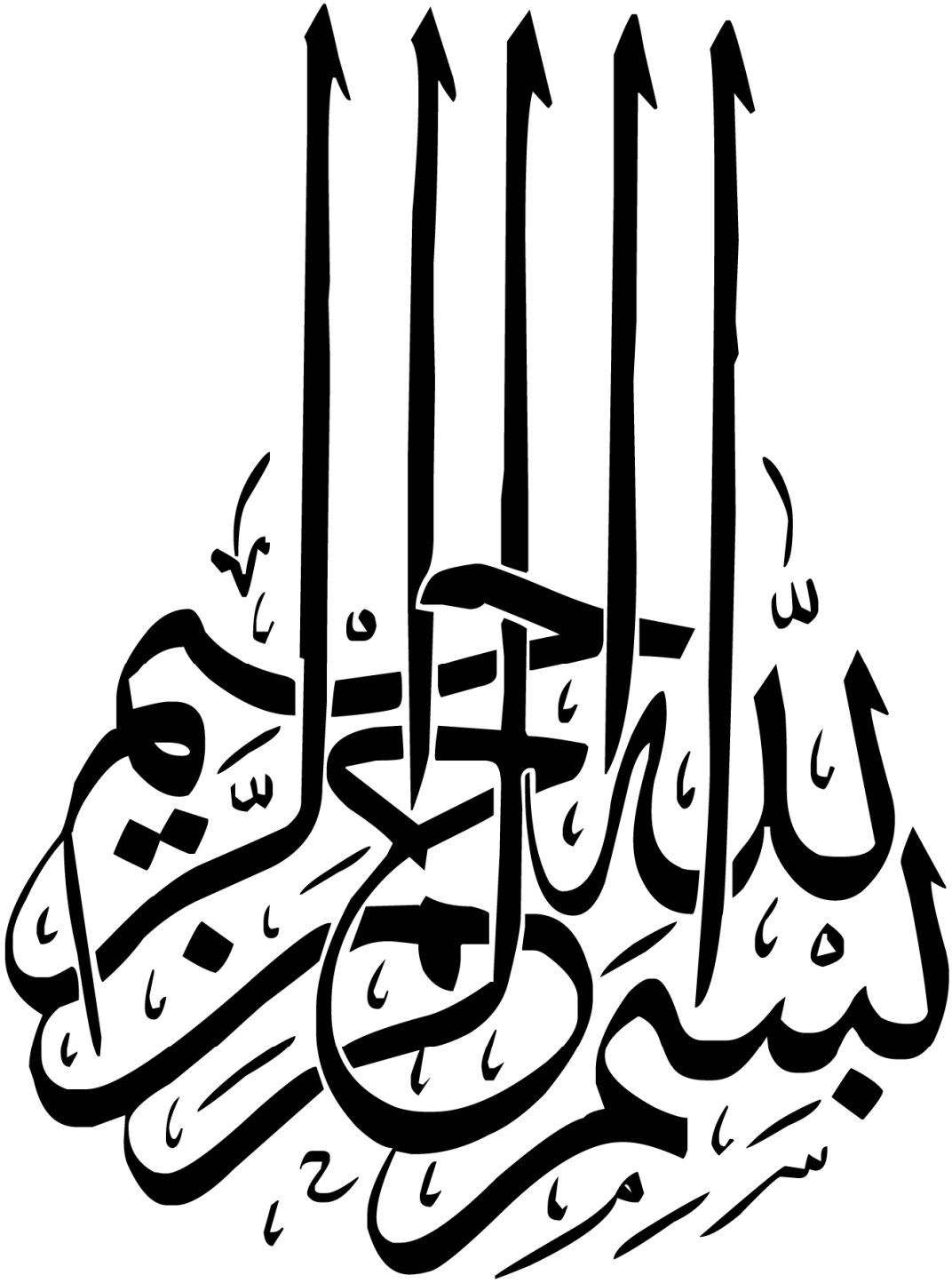
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

أشكر الله العلي القدير الّذي أنعم عليّ بنعمة العقل والدّين القائل في حكم التّنزيل {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} سورة يوسف آية 76 صدق الله العظيم.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: <<مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ...>> رواه أبو داوود.

واعترافا مني بالجميل أتقدم بجزيل الشّكر إلى الأستاذ الفاضل الدكتور عبد العالي بشير، الذي ساعدني ووجّهني طيلة هذه الدّراسة..فجزاه الله كلّ خير.

وأخيرا، أتقدّم بجزيل شكري إلى كلّ من مدّ لي يد العون والمساعدة في إخراج هذه الدّراسة على أكمل وجه.

الإهـداء

نحمد الله الّذي وفّقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا أمّا بعد :

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين، اللّذان سهرا وتعبا على تعليمي إلى أن أتممت بحمد الله وعونه هذا الإنجاز المهمّ في حياتي...

إلى زوجي العزيز الّذي ساعدني على إتمام هذا البحث وقدّم لي العون ويد المساعدة، فشكرا وألف شكر أيّها الصّاحب الوفيّ.

إلى كلّ أفراد عائلتي، وعائلة زوجي...

إلى كلّ صديقاتي دون أن أستثني واحدة منهنّ...

إلى كلّ من علّمني، وأخذ بيدي، وأنار لي طريق العلم والمعرفة.

إليكم جميعا الشّكر والتّقدير والاحترام.

أنزل الله القرآن الكريم على البشر ليجعلوا منه دستورا لحياتهم ومنهاجا لطريقهم، وقد حفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** سورة الحجر: الآية 09. وقد اختار لهذا الكتاب المقدس لغة عظيمة كتب بها ألا وهي اللغة العربية، لغة القران الكريم ولغة الحديث الشريف ولغة أهل الجنة ولغة عيون الشعر العربي...وهذا ما جعل من هذه اللغة مفخرة لنا بين الشعوب والقبائل منذ العهد القديم إلى عصرنا الحالي.

والحقيقة أن الابداعات باللغة العربية قد تخطت حدود القومية العربية إلى قوميات أخرى، فقد ترجمت الأعمال الأدبية إلى العديد من اللغات العالمية. ولا يفوتنا بالذكر أن كبار الأدباء والشعراء والنقاد الغربيين قد تأثروا بالشرق تأثرهم باللغة العربية وسُحروا بها وترجموا أعمال أدبائنا العرب ورسموا للشرق صورة ساحرة في مؤلفاتهم. وأكبر برهان على ذلك تخصيص **"فيكتور هوجو"** ديوانا بكامله أسماه (**ديوان الشرقيات**).

ويعتبر موضوع (**صورة الشرق في الآداب الأخرى**) من أهم قضايا الأدب فقد أسال حبر الكثير من الباحثين والدارسين، وكل أدلى برأيه في القضية بين مؤيد لفكرة تأثير الشرق في الآداب الفرنسية والألمانية والإنجليزية وغيرها ورافض له من قبل بعض المستشرقين.

انطلاقا من هذه المعطيات بدأ اهتمامي بقضية صورة الشرق في الآداب الأخرى، ومن أجل ذلك آثرت أن يكون موضوع أطروحتي (**ملامح الشرق في ديوان الشرقيات للشاعر الفرنسي فيكتور هوجو**). للوقوف على صورة الشرق في الأدب الغربي وكيف مثله الغرب في كتاباتهم وشعرهم.

وقد دفعني الى اختيار هذا الموضوع مجموعة من الأسباب الذاتية والموضوعية يمكن ذكرها على النحو التالي:

* عدم وجود أبحاث علمية تتعلق بتأثر "فيكتور هوجو" بعالم الشرق الساحر.

* تأثر الأروبيين بالعالم الشرقي ولغته من السبل المهمة في الوقوف على الحضارة الشرقية والعربية وتُظْهِرْ ملامح تأثر الغرب بالشرق وبلغته وأدبه.

* رغبتي الشديدة في معرفة علاقة الرجل الفرنسي بعالم الشرق.

وكنت أهدف من وراء ذلك إلى الوقوف على ملامح تأثر الأدب الغربي وبالخصوص الأدب الفرنسي بالحضارة العربية وبآدابها، فهو يعدّ من المواضيع التي تحتاج إلى دراسة جادة، وخاصة أن الأبحاث في هذا العنوان **–ملامح الشرق في ديوان الشرقيات–** لم تتعد إشارات فقط.

– فهل اطلع "فيكتور هوجو" على الشرق وزاره؟

– ولماذا اختار هذا العنوان لديوانه وهو رجل غربي؟

– وهل تظهر ملامح الشرق جلية في ديوانه؟

هذا ما حاولت الإجابة عنه في هذا البحث للوصول إلى نتائج تفيد الباحث في هذا المجال.

وقد قسمت بحثي الى مدخل وثلاثة فصول وذيلته بخاتمة.

أما المدخل فخصصته للحديث عن عالمية اللغة العربية وتأثير الأدب العربي في الآداب الأخرى واستشهدت في ذلك بالنموذج العربي في الأدب العالمي لأتحدث في عنصر آخر عن صورة الشّرق في الأدب الفرنسي.

وحاولت في الفصل الأول الوقوف على محطات في حياة شاعرنا **"فيكتور هوجو"** فيما يخدم بحثي: أهم أعماله، زيارته لإسبانيا، قراءته ألف ليلة وليلة، اسلامه.

أما الفصل الثاني فجعلته قراءة في ديوان الشرقيات من خلال ترجمة المقدمتين، دراسة نظرية للديوان ثم تحليل لمضمون الديوان من خلال الوقوف على بعض النماذج.

أما الفصل الثالث: فأفردته لدراسة قصيدة غرناطة "لفيكتور هوجو" ومحاولة إخراج الملامح الشرقية في هذه القصيدة.

وذيلت بحثي بخاتمة كانت بمثابة حوصلة لأهم نتائج دراستي لهذا الموضوع.

وقد اعتمدت في دراستي على مكتبة متنوعة من: قرآن كريم، كتب عربية وكتب أجنبية مترجمة ومقالات ورسائل وجرائد وملتقيات منها ما يلي:

Victor Hygo: les orientales.

- الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن.
- حامد العظم: صورة الشرق في الأدب الفرنسي من الأسطورة إلى الدنونية.
- معجب بن سعيد الزهراني: الشرق والشرقيون في ديوان فيكتور هوجو.
- عبد الرحمن زكي: غرناطة وآثارها الفاتنة.
- الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة.
- روحي الخالدي: تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوجو.
- ستانلي لين بول: قصة العرب في إسبانيا.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على منهجين: التاريخي والوصفي وهما منهجان اقتضتهما طبيعة التّحليل، مستعينة ببعض أدوات التّحليل والاستقراء.

ولابد من الإشارة في هذا المقام إلى أن من أهم الجهود السابقة التي تناولت هذا الموضوع : معجب بن سعيد الزهراني: الشرق والشرقيون في ديوان فيكتور هوجو، حيث تطرق إلى هذا الموضوع من جانب إحصاء بعض الصّور الشّرقية في ديوان الشّرقيات، لقد كان بحثنا هذا محاولة لرسم صورة

ولو تقريبية لصورة الشرق في الأدب الفرنسي وبالأخص في ديوان الشرقيات، آملين أن يكون هذا البحث فاتحة لآفاق دراسية أخرى متممة لبعض المسائل التي نكون قد غفلنا عنها في دراستنا.

في الختام أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي الكريم الدكتور **"عبد العالي بشير"** الذي كان رحب الصدر طيلة فترة إشرافه على هذه الرسالة فحفظه الله وجزاه خير جزاء.

والله أسأل صواب القصد وسواء السبيل فهو سبحانه ولي التوفيق.

عائشة قاسمي

مغنية 12 ديسمبر 2018.

مدخل:

صورة الشرق في الأدب الفرنسي

توطئة:

بداية أردنا أن نوضّح فكرتنا بالتدرّج فإذا كان العنوان هو: الملامح الشّرقيّة في ديوان الشّرقيات لـ"فيكتور هوجو" كان إذن لزاما علينا أن نعرّج على توضيح ماهية الأدب العالمي لنعرف أنّ أدبنا العربيّ تنطبق عليه مفاهيم ومقاييس هذا الأدب العالمي، لذلك كان محلّ أنظار الكتّاب الغربيّين فتأثروا به ونقلوا عنه، كما كتبوا عن عالم الشّرق السّاحر، وعن لغته. فكان من الضّروري أن نأخذ نماذج عن أولئك الكتاب الأوربيين الذين فتنوا بعالم الشّرق وصوّروه في كتاباتهم لنعرض في نقطة أخيرة صورة هذا الشّرق في الأدب الفرنسي، ونقرّب الصّورة للقارئ ونتدرّج في الوصول إلى كاتبنا الفرنسي "فيكتور هوجو" الذي سوف نجعله محور دراستنا في الفصول اللّاحقة.

المبحث الأول: حيوية الأدب العربي (عالميته).

I). ما المقصود بعالمية الأدب:

يراد بعالمية الأدب خروجه عن نطاق اللّغة التي كتب بها إلى أدب لغة أو آداب لغات أخرى، والعالمية ظاهرة عامّة بين الآداب في عصور معيّنة، يتطلّبها الأدب المتأثّر بسبب عوامل تدفعه إلى الخروج من حدود قومية، إما للتأثير في الآداب الأخرى وإما نشدانا لما به يغني ويكمل ويساير الركب العالمي، ولهذا يحدث تغيير كامل في مجال الفكر والأدب [1].

فالأدب العالمي إذن: «هو الأدب الّذي ارتقى إلى مستوى العالمية، واجتاز الحدود بين الدول، وترجم إلى كثير من لغات العالم، وحقق انتشارًا واسعًا، وشهرة».

ظهر مصطلح الأدب العالمي أول مرة على لسان غوته عندما قال لصديقه "ايكرمان": «أنا مقتنع بأن أدباً عالمياً أخذ يتشكل، وأن جميع الأمم تميل إلى هذا ... إننا ندخل الآن عصر الأدب العالمي. وعلينا جميعاً الاسهام في تسريع ظهور هذا العصر».

ولكن ولادة هذا المصطلح لم تأت من عدم، فقد أشار "دانتي" الى وجود حركة ثقافية عالمية في دراسة له بعنوان "حول الملكية"، في حين تحدث المفكرون والفلاسفة والأدباء الألمان والفرنسيين عن التجربة الانسانية المشتركة.

كما نظر "شيلر" إلى عصره القرن الثّامن عشر كبداية لتمازج الأمم المختلفة في مجتمع انساني واحد كما اعتبر نفسه مواطناً عالمياً.

1- الطاهر أحمد مكي، الادب المقارن القاهرة:46 ميدان الأوبرا، ط01، 1407هـ/1967م، ص93.

-وقد أثرى زعماء الرومانسية (بايرون، شيلي، وكيتس، وورد زورث) مفهوم الأدب العالمي. ليتعمق هذا المفهوم أكثر في القرن العشرين، عندما زاد الاتصال الأدبي بين الأمم، وظهر التأثير المتبادل جليا في العملية الثقافية على مستوى العالم [1].

نستنتج من كل ماسبق أن الأدب العالمي هو:

«الإنتاج الشعري الذي ينتمي إلى العالم ومن أجل العالم، ويتجاوز حدود أو نطاق الإنتاج القومي أو المحلّي في رؤيته» [2].

«الأعمال التي استطاعت أن تنتشر في أنحاء العالم ربّما بفضل إبداعها الذّاتي أو المناقشات الّتي دارت حولها بين النّقاد والقرّاء من مختلف أنحاء العالم» [3].

«القصائد الّتي تعكس العالم، وتتكلّم باسم البشر جميعا حول التّجارب الإنسانية الدّائمة المشتركة والّتي تسمو سموا كونيا» [4].

*** عالمية الأدب العربي:**

ممّا لاشكّ فيه أنّ الأدب العربي يعد من زمرة الآداب العالميّة الّتي تحمل صفة الشّمول الإنساني، فاللّغة العربيّة لغة حيّة، برهنت على مرّ العصور قدرتها على التسرّب إلى مختلف الشّعوب، والتّأثير في لغات عديدة، فالفاتحين الذين ظهروا في الشرق قبل العرب لم يستطيعوا أن يفرضوا لغتهم على الأمم المغلوبة، بل تمكن العرب من فرض لغتهم عليهم، ولما صارت اللّغة العربية عامة في جميع البلاد الّتي

1- جودت هوشيار: الأدب العالمي مفهومه وقضاياه: (باسنيور)، 27 يوليو 2016م.

2- حسام الخطيب: الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة، الدّوحة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، د.ط، د.ت، ص188-189.

3- نفسه.

4- نفسه.

استولوا عليها، حلّت محلّ ما كان فيها من اللّغات، كالسّريانية واليونانية والقبطية والبربرية وغيرها، وحتّى بلاد الفرس كان للغة العرب حظّ وافر فيها، فقد ظلّ الفرس يكتبون لغتهم بالحروف العربيّة.

كما أثّرت اللّغة العربية في اللّغات اللّاتينية ذاتها حتّى أنّ المستشرقين (دوزي)، (أنجلمن) وضعا معجما في الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقّة من اللّغة العربيّة.

وقد اقتبس الأوربيون فنّ القافية من العرب، كما أنّ الشّعر الإسباني والشّعر البروفنسي مدينان في ظهورهما لشعراء العرب في الأندلس.

ولعلّ من بين الأسباب الّتي جعلت من اللّغة العربية لغة عالمية سريعة الانتشار هو مرونة هذه اللّغة، والتصاق الأدب العربي بالنّفس البشريّة فقد وصفها وحلّلها، ونبض بمعانيها على اختلافها وتنوّعها من سموّ وصفه.

وهناك صفة أخرى جعلت الشعراء العرب في مرتبة الشّعراء العالميين، وهي عشقهم للطّبيعة وتقديس جمالها والافتتان بتصويرها. وقد بلغ في ذلك شعراء الأندلس مبلغهم ويكفي الوقوف على قول ابن خفاجة في وصف روضة الصّباح: [1]

وَالنورُ طَرفٌ قَد تَنَبَّهَ دامِعٌ وَالماءُ مُبتَسِمٌ يَروقُ صَقيلُ

فَالرَوضُ مُهتَزُّ المَعاطِفِ نَغمَةً نَشوانُ يَعطِفُهُ الصَبا فَيَميلُ

رَيّانُ فَضَّضَهُ النَدى ثُمَّ انجَلى عَنهُ فَذَهَّبَ صَفحَتَيهِ أَصيلُ

وَارتَدَّ يَنظُرُ في نِقابِ غَمامَةٍ طَرفٌ يُمَرِّضُهُ النُعاسُ كَليلُ

ساجٍ كَما يَرنو إِلى عُوّادِهِ شاكٍ وَيَلتَمِحُ العَزيزَ ذَليلُ [2]

[1]- محمّد وهبي: عالمية الأدب العربي (مجلة الرّسالة) العدد 854، 1949/11/14.

[2]- ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة، تح: عمر فاروق الطباع، بيروت، دار القلم، د.ت، د.ط.

المبحث الثاني: تأثير الأدب العربي في الآداب الأخرى.

I). النموذج البشري العربي في الأدب العالمي:

لقد أبدع أدباء العرب في كافة فنون الكتابة والإبداع وألفوا في القصّة والرواية والمقالة والشعر...إلخ، ما يجعل المرء يفخر به بين آداب الأمم، ولقد ذاع صيتهم حتى وصل صداهم إلى كافّة بقاع الأرض ونواحيها ويكفي أن نقف على بعض النّماذج ليتضح ما قلناه آنفا:

1- قصة حي بن يقظان:

ويعدّ "ابن سينا" أول من ألّف رسالة فلسفية على الطريقة الصوفية في الرّمز الموسومة بـ (رسالة حي بن يقظان). وبعد نحو قرن ونصف ألّف "ابن طفيل" الفيلسوف العربي رسالة أخرى بعنوان حيّ بن يقظان في أسلوب قصصي رمزي أيضا ذي طابع فلسفي.

وقد اهتمّ الأوربيّون بهذه الرسالة فترجمت إلى العبرية سنة 1341م، ثمّ إلى اللّاتينية عام 1671م، ثم إلى الإنجليزية. وقد تأثربها الكاتب الإسباني "**بالتاسار جراثيان**" "Baltzar Gratian" في قصّته المعنونة بـ"**النّقاد**" "Crilicon" [1].

2- كتاب ألف ليلة وليلة:

كتاب ألف ليلة وليلة من المؤلفات التي حظيت بشهرة واسعة جدا فقد ترجمه الانجليز **ثلاث** ترجمات.

* ترجمة إدورد وليان لين.

* ترجمة جون باين.

* ترجمة السير ريجارد .ف. بيركون.

1- احمد عنيمي هلال،**الادب المقارن** ،مصر: **نهضة مصر للطباعة والنّشر والتوزيع**، ط08، 2007م، ص185-191.

حتى أنّ هذا الكتاب عرّف الإنسان في كافة أنحاء المعمورة بالعالم الشّرقي السّاحر

3- كلكامش:

من النّماذج الأسطورية التي تصوّر بطل ملحمة عراقية، وتعود أصولها إلى الأدب البابلي الذي يخصّ حضارة وادي الرّافدين وفي **ذلك يقول "طه باقر":** «والبطل كلكامش...انتقل اسمه إلى معظم الآداب القديمة إذ أنّ أعماله نسبت إلى أبطال الأمم الأخرى مثل "هرقل" و"آخيل" و"الاسكندر **ذي** القرنين" والبطل "أوديسوس" في الأوديسيسة» [1].

فالعودة إلى هذه القصص تكشف عن الشبه الكبير بينها في أكثر من موطن إلا أنّ الأساس في قصص "هرقل" يرجع إلى ملحمة "كلكامش" التي وصلت إلى بلاد اليونان عن طريق الفينيقيّين، **يتصور شوارع بغداد وحدائقها على نهر دجلة، ويرى البصرة والقاهرة ودمشق...**[2]. **وكتاب ألف ليلة** وليلة من الكتب التي أشاد بها الأدباء والنقّاد الغربيون، وقد أوحى إلى كثير منهم شعرا وفلسفة ورواية، وقد أصبح جزءا من الفولكلور الغربي أغنى جزءا أصيلا من عبقريتهم [3].

---

[1]- **داوود سلوم**، الأدب المقارن في الدراسات التّطبيقية: **القاهرة: موسسة المختار للنشر والتوزيع**، ط01، 1424ه/2003م، ص113.

[2]- مصطفي الصاوي الجريني ،في الأدب العالمي، **منشأة المعارف، د.ط، د.ت**، ج03، ص150.

[3]- **داوود سلوم** ،الأدب المقارن في الدّراسات المقارنة التّطبيقيّة:، ص154-155.

4- شخصية يوسف وزليخا:

هناك نماذج أخرى أخذت عن الكتب المقدّسة ومنها شخصية "يوسف" و"زليخا" في الأدب الفارسي ومن القرآن الكريم، ثم عن التوراة وشروحها، وقد صوّر هاتين الشخصيتين في الأدب الفارسي الشاعران "الفردوسي" (ت/1021م) والشاعر "عبد الرحمن الحامي" (ت/1492م) [1].

5- شخصية جحا:

ومن منا لا يعرف هذه الشخصية التي نالت شهرة واسعة، فهي ترمز دائما للإنسان البسيط المرح الذي يعبّر دائما عن رأيه بكلّ جرأة منتقدا بذلك أوضاع السّلطة الفاسدة، وقد تناولت هذه الشّخصية عدّة آداب عالميّة فقد انتقل إلى الأدب الشّعبي المصري والأدب الشّعبي التركي، والأدب الشعبي الفارسي [2].

1-محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن: ص249.

2- يسري عبد الغاني عبد الله، النّماذج الأدبية والأدب المقارن.

المبحث الثالث: حصور الشرق في الأدب الفرنسي.

I). تأثير الأدب العربي في الأدب الفرنسي:

لقد كان تأثير الأدب العربي عالميا ومن الآداب التي بدا التأثير فيها جليّا هو: الأدب الفرنسي وذلك من خلال نماذج بارزة ذاع صيتها في الدّراسات المقارنة ومن تلك النّماذج:

1- شعر التروبادور:

* مصطلح التروبادور Troubadour **مأخوذ من كلمة** "Trobr" في اللغة الفرنسية القديمة وتعني: من ينظم الشعر المبتكر في حين يرى بعض المستشرقين إنّ مصطلح التروبادور مشتقّ من الكلمة العربيّة "طرب" مع بعض التّعريف وأضيف إليها المقطع اللّاتيني "dor" **أو** "adour" **الدّال على اسم** الفاعل، ويرى البعض أنّ هذا تفسير منطقي حيث نجد أنّ كثيرا من الآلات الموسيقية **تلفظ بألفاظها** العربية مع بعض التغيير مثل كلمة **"عود"** "luta" **و"قيتارة"** "guitar"**، و"ربابه"** "rebee"**، وقد ذكر الباحثون أنّه يزيد عن** 400 كلمة عربية موجودة في قواميس اللغة الإسبانية.

وقد ظهر شعراء التروبادور في العصور الوسطى في **أواخر القرن الحادي عشر ميلادي وهم شعراء "جوالون" ينتقلون من مكان** إلى مكان ومن بلاط إلى بلاط جنوبي فرنسا ينشدون أغاني الحبّ على نمط الموشّحات الأندلسية والأزجال العربية المغاربية الّتي انتشرت في القرن التّاسع الميلادي [1].

*** تأثير الموشحات والأزجال العربيّة في شعر التروبادور:**

من المعلوم أنّ الموشّحات العربيّة الأندلسية ظهرت في أواخر القرن الثالث هجري **(التاسع** ميلادي) وهي ذات طابع شعبي، تنظّم في أغراض غنائية من أهمّها الغزل، والموشّحات تخرج في نظمها

1-ابراهيم أحمدا: مقال (شعر التروبادور): صورة من التراث العربي في الأندلس، **جريدة البعث ،العدد** 15122، 2014/08/14.

عن نظام القافية الواحدة في القصيدة العربيّة، مع العلم أنّ الموشّحات نظمت بداية في البحور العربيّة القديمة، ولكن مع الوقت تحرّرت من القافية، ونظمت في بحور أخرى تستلذّها الأذواق [1].

*** شعراء التروبادور والشّعر العربي:**

وقد أثّر هذا الشّعر العربي في مضامين شعراء، التروبادور عن طريق الأندلس والمنافذ الحضارية **الأخرى** [2] **ومن أبرز أوجه التّشابه بين الموشحات** والتروبادور **ما يلي:**

* متوسّط المقطوعات الّتي تتألّف منها القصيدة عند شعراء التروبادور هو سبعة، وهو نفسه العدد الغالب في الموشحة.

* إنّ مجموع الغصن مع القفل يشكل عند التروبادور بيتا، وهو نفس الاسم في الموشّحات **والأزجال.**

* كذلك هناك في شعر التروبادور شخصيات مشابهة لتلك الموجودة في الأزجال والموشّحات **مثل شخصية الواشي، والحاسد، والرّسول بين الجبين** [3].

2- الحكاية الجارية على لسان الحيوان:

يطلق اسم الخرافة على الحكايات الّتي ترد على ألسنة الطّير والحيوانات، **وهذا ما فعله الكاتب** الفرنسي الشّهير "لافونتين" عندما سمّى حكاياته باسم "الخرافات" LES FABLES.

وقد تأثّر "لافونتين" في ذلك بكتاب "كليلة ودمنة"، وذلك عندما كان يتردّد على نادي "مدام دي لاسابلير" "Mme de La Sablière " (1693/1636).

1- المقري التلمساني ،**نفح الطيب، ج03، المطبعة الأزهرية، د.ط، 1302هـ، ص195-201.**

2-**داوود سلوم،** الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية ،ص343.

3-محمد غنيمي هلال :**الأدب المقارن، ص319-320.**

وقد كان هناك شخص يدعى "برنييه" "Bernier" (1620/1644) لفت انتباه "لافونتين" إلى كتاب ترجم من الفارسية إلى الفرنسية عام 1644م **بعنوان "كتاب الأنوار أو أخلاق الملوك"** للحكيم الهندي "بيدبا" وقد ترجمه إلى الفرنسية داود "سهيد الأصبهاني"، والمترجم الحقيقي للكتاب **هو** "جيلبير جولمان" الذي كان عالما باللّغات الشرقية، والكتاب الفرنسي هو ترجمة لكتاب "حسين واعظ كاشفي الفارسي" والكتاب الأخير ترجمة حرة في نثر فني لكتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع.

وقد اقتبس "لافونتين" ما يقارب عشرون حكاية ضمنها الجزء الثاني من حكاياته الّتي نظمها على لسان الحيوان يقول "لافونتين" في مقدّمة الجزء الثاني من حكاياته [1]: **«ليس من الضّروري فيما** أرى أن أذكر المصادر الّتي أخذت عنها هذه الحكايات الأخيرة، غير أنّي أقول اعترافا بالجميل: إنّي مدين في أكثرها للحكيم الهندي "بلباي" الذي ترجم كتابه إلى كل اللّغات» [2].

II). عالم الشرق في مؤلفات الفرنسيين:

من خلال العنوان الّذي أعطيته لهذا المدخل يتبادر للقارئ من الوهلة الأولى تساؤل ما الّذي **يربط الشّرق بفرنسا وهل هناك علاقة بين الكلمتين ؟**

بدأت فرنسا تتعرّف على الشّرق وسحره نتيجة الاتّصال الّذي حصل بينها وبين مصر **وبلاد الشّام** إبّان حملة "نابوليون بونابرت" NAPOIEON BONAPARTE(1798م/1802م) **وقد زاد** هذا التّاثير بعد الحملات الفرنسية على الجزائر وشمال إفريقيا (1830م/1962م)، **ليظهر صورة جديدة للعرب وحضورهم ضمن الأدب** [3].

ومن أشهر الكتّاب الفرنسيين الّذي أظهروا عالم الشّرق في مؤلفاتهم نذكر:

---

[1]- غنيمي هلال ،الأدب المقارن: ، ص156-157.

[2]- La Fontaine: Fables,, P09.

[3]- حامد العظم: صورة الشرق في الأدب الفرنسي من الأسطورة إلى الدّونية، 23 **مايو** 2016.

1- فولتير في رواية زاديك:

هي رواية ألّفها "فولتير" VOLTAIREتدور أحداثها في مدينة "بابل" وتحكي عن القدر والرّضى به، من خلال وصف الصّعاب الّتي مرّ بها "زاديك"، والتحدّيات الّتي واجهها حتّى يتزوّج محبوبته، و"فولتير" VOLTAIREفي هذه الرّواية **يقارب الشّرق بوصفه موطنا للحكمة، مع إسقاطات سياسية** على واقعه في تلك الفترة [1].

2- تيوفيل غوتيه (رواية المومياء):

تحدّث تيوفيل في هذه الرّواية عن بعض معالم الشّرق كالوصف الدّقيق والمفصّل لقبر فرعوني يحوي جثمان فتاة في مقتبل عمرها، وهي ابنة واحد من كبار الكهنة في مصر، وتتوالى أحداث **الرّواية** ليسرد الكاتب من خلالها بعض الأحداث التّاريخية، الّتي لحقت بمصر وخروج العبرانيّين وتدمير الجيش الفرعوني... [2].

3- شارل جانيل – جان الصّغير:

هي رواية نشرها "شارل جانيل" عام 1879م، وفيها قدّم الكاتب الفرنسي، صورة سيئة عن العرب وخصوصا الجزائريين، فقد اتّهمهم بالاعتداء على المسيحيين بصورة جائرة، وهذه من الصّور **الاستشراقية الفرنسية عن مستعمراتها،** وهذا ما سعت الدّراسات ما بعد الكولونيالية إلى تفكيكه، بوصفه محاولة من الغرب لبسط سيطرته على الشّرق وتشكيله ضمن المخيّلة، بوصفه الغربيّ متفوّق والشّرقي أدنى منه.

4- ألبير كامو – الغريب والزّانية:

1- ينظر Voltaire: Zadig, Carlotravervo, 2002.

2- ينظر إبراهيم العريس، مجلة الحياة (ألف وجه لألف عام: رواية المومياء لغوتيه، الفنّ للفنّ لا يمنع التّسامح)، 1423/10/05هـ العدد 14507، ص16.

هو من الكتّاب الفرنسيّين المشهورين في القرن العشرين، ولد في الجزائر وكان معارضا للاحتلال الفرنسي، وقد كتب العديد من المقالات النّقدية ضدّ سياسة الحكومة الفرنسيّة.

نشر رواية الغريب عام (1942م) ورواية الزّانية عام (1957م)، وقد كان للعرب حضور كبير في أعماله الأدبية [1].

5- جان جينيه: أربع ساعات في شاتيلا:

يعتبر "جان جينيه" من أبرز الشّخصيات العالميّة المناصرة لقضايا المظلومين، وفي مقدّمتها القضية الفلسطينية ومسرحيته أربع ساعات في شاتيلا، تدخل ضمن المسرح المناضل، المسرح الّذي يفضح الواقع الاجتماعي والسّياسي المزري الّذي يعيشه الإنسان العربي، وتصوّر الظلم الّذي تتعرّض له الشّعوب المستضعفة من طرف الحكّام من جهة والقوى الغربيّة من جهة أخرى، وتبقى هذه المسرحيّة تأريخا للخطة التاريخية التي تصوّر مجازر الكيان الصّهيوني في حقّ الشّعب الفلسطيني [2].

لا ينكر المتصفّح لتاريخ الأدب الفرنسي أنّ الشّرق كان حاضرا بقوّة في هذا الأدب، وقد سجّل الشّرق أوّل حضور له في الأدب الفرنسي في الأدب الملحمي الّذي كان مشتهرا، كما ترك بصماته على الأدب الكلاسيكي الرّوائي والمسرحي في القرنين السّابع والثّامن عشر.

ولا ينكر أحد أنّ أدب الرّحلات كان حاضرا بقوّة عند الحديث عن (حضور الشّرق في الأدب الفرنسي) و قد اشتهر في هذا المجال مجموعة من الأدباء أبرزهم: "شاتوبريان ولامارتين وألفريد ديفينيي

[1]- the huffington post news team، صورة الشّرق في الأدب الفرنسي من الأسطورة إلى الدّونية، 23 مايو 2016.

[2]- جان جينيه: أربع ساعات في شانيلا، تر: محمّد برادة، دار دراية للنشر، د.ط، د.ت.

وتيوفيل غوتيه وجيراردي نرفال" وقد كان لهؤلاء الأدباء تأثير مباشر على المستشرقين **وعلماء الآثار والرّسّامين الذين اتّجهوا** صوب الشّرق لسبر أغواره واكتشاف غرائبه [1].

[1]- مؤيد عباس: حضور الشّرق في الأدب الفرنسي، الخميس 28 مارس 2013، 08:11 PM.

خلاصة:

بعد أن تطرّقنا إلى تعريف الأدب العالمي، وقلنا بأنه الأدب الّذي ارتقى إلى مستوى العالمية، وتجاوز الحدود بين الدّول وترجم إلى لغات عدّة، وجدنا بأن هذا التّعريف ينطبق على أدبنا العربي، الذي ذاع صيته حتّى وصل صداه إلى كافة بقاع الأرض ونواحيها، وقد برهنت اللّغة **العربيّة بفضل** خصائصها قدرتها على التسرّب إلى مختلف الشّعوب ولقد كان الأدب الفرنسي من الآداب الّتي بدا تأثير الأدب العربي فيها جليّا وذلك من خلال نماذج بارزة ذاع صيتها في الدّراسات المقارنة (شعر التروبادور، لافونتين...) وبذلك تعرّفت فرنسا على الشّرق وسحره **وقد أظهر ذلك الكتّاب الفرنسيين** في مؤلفاتهم ولعلّ "فيكتور هوجو" من أولئك الكتاب الّذين سحروا بعالم الشّرق وفتنوا به وهذا ما سوف نتطرّق إليه في الفصل الموالي بإذن الله تعالى.

الفصل الأول:

محطّات موجزة في حياة

"فيكتور هوجو"

المبحث الأول: حياته وأعماله.

1). تعريف الرومنسية:

لا يخف على الباحث أنّ الرومنسية أو الحركة الرّومنتيكية ظهرت في بلاد أوربا في أواخر القرن الثّامن عشر وأوائل القرن التّاسع نتيجة الثّورة الفرنسيّة [1]. والرّومنسية كما ذهب البعض: «كانت في جوهرها ثورة تحريريّة للأدب من سيطرة الآداب اليونانية واللّاتينية القديمة من كافّة القواعد والأصول الّتي استنبطت من تلك الآداب» [2]. وفي اعتقادي أنّها حصلت على ذلك الرّواج لأنّ الشّعراء وجدوا فيها راحة النّفس وحرّيتها من القيود القديمة. وقد عرفت ازدهارا وتوسّعا على يد أعلام بارزين مثل الأديب الفرنسي "فيكتور هوجو"، فمن هو "فيكتور هوجو".

2). الأدب الفرنسي:

ينتمي "فيكتور هيجو" –جنسيا– إلى الأدب الفرنسي الذي يعتبر من أغنى آداب الأمم وأرقاها، وقد شمل أعمالا عديدة ومتنوعة في مختلف الفنون من: شعر غنائي ومسرحية وقصّة ورواية...وغيرها من الأعمال.

1– عبد اللّطيف سلمان، تاريخ الفن والتّصميم، د.ت، د.ط، ص144.

2– غدير أحمد عبد القادر، المذاهب الأدبيّة الغربية الكبرى وأثرها على الأدب العربي (منتديات الأدب العربي واللّغات والفنون)، جامعة ورقلة، 11 أكتوبر 2010، 11:15.

وقد بدأ هذا الأدب في القرن التّاسع عشر وحظي كغيره من الآداب بتقسيم من المؤرخين فقسّم هو الآخر إلى:

- عصر النهضة.
- العصر الكلاسيكي.
- عصر العقل.
- الرّومنسية.
- الواقعية.
- المدرسة الطّبيعية.
- الرّمزية.
- السّرياليّة.
- الوجوديّة.
- الأدب الفرنسي الحديث [1].

وقد خلّف هذا الأخير –الأدب الفرنسي الحديث– واحدا من عمالقة الأدب والإبداع أقصد شاعرنا ومحور بحثنا "فيكتور هوجو".

والتحدث عن الأدب الفرنسي يدفعنا بالضرورة إلى الحديث عن النهضة الفرنسية التي ظهرت في القرن السّادس عشر، بعد الحروب المسمّاة بـ "حروب إيطاليا" منذ عام 1494 وحتى سنة 1516، والتي انتهت في عصر الملك فرنسوا الأوّل.

1– الموسوعة العربيّة الشّاملة، الأدب الفرنسي، 2009.

وقد ساعد الفرنسيين انتصارهم على الايطاليين وراء جبال الألب، أن يعجبوا بمظاهر الحضارة والفنّ في المدن الايطالية العريقة، وقد جلبوا من هذه الحضارة إلى بلادهم، وتشبّعوا بأدب كبار الكتّاب الايطاليين وتعلّموا منهم كيفية التّعبير عن عواطفهم وعن آرائهم، وخلّفوا روائع بهرت فرنسوا الأوّل وجيوشه [1].

3). مولده ونشأته:

ولد "فيكتور هوجو" سنة 1802م في "بيزانسون" "Besançon" في ناحية تسمّى "Franche-Comté"، وكان أصغر إخوته. كان والده "جوزيف ليوبولدسا يحيزبرت" من أكبر الضّبّاط في جيش نابوليون ويقال أنّه كان ملحدا "Athée" وكان مناصرا للحكم الجمهوري "Republicain". أما والدته "صوفي تريبوشيه" (1772م/1821م) فكانت كاثوليكية ومؤيّدة للحكم الملكي "Royalist" [2]. وقد استقرت "صوفي" في بداية (1809م) في باريس وذلك بعد انفصالها عن زوجها.

ولكثرة النّزاعات بين والديه استقرّ "فيكتور هوجو" في مبيت داخلي في باريس وهذا ما جعله يتقن اللّغة اللّاتينية بسرعة حتّى أنّه أصبح يترجم إلى اللّغة اللّاتينية كلام كبار الشّعراء مثل "هوراس" "Horass" و"فيرجيل" "Vergil" و"ناسيت" "Nassit" و"سيسرون" "Sissron" كما أنّه درس في ذلك المبيت الرّياضيات والهندسة والرّسم.

وكتب أوّل نصوصه المسرحيّة "جهنّم على الأرض" "Enfer sur Terre" و"قصر الشّيطان" "Palais de Satan" [3].

1- رجاء ياقوت: الأدب الفرنسي في عصر النّهضة، القاهرة: دار المعارف، د.ت، د.ط، ص03.

2- منتدى المقالات الأدبية والمكتبة الأدبية المتكاملة (مقتطفات عن ملامح حياة الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو)، 22 أوت 2011، 12:10.

3- منتدى الواحة المهجريّة: في ذكرى مولد فيكتور هوجو، 29 جوان 2007م، 09:13.

وقد شهدت طفولته العديد من الأحداث المهمّة:

- الإطاحة بعرض السّلالة البوربونية الحاكمة في عهد الثورة الفرنسية La Révolution Française.

- قيام الامبراطوية الفرنسية الأولى Le Premier Empire Française.

- قيام وسقوط الجمهورية الفرنسية الأولى Premier République Française.

- فرض نابوليون بونابرت للحكم الديكتاتوري [1] وبذلك مثّل الحقبة الرومانسية في فرنسا بعيون مفتوحة على التّغيّرات الكثيرة.

وقد تحدّث عن طفولته قائلا: «قضيت طفولتي مشدود الوثاق إلى الكتب» [2].

4). آثاره:

يكاد يجمع النّقّاد على اعتبار "فيكتور هوجو" أعظم شاعر غنائي فرنسي، وواحد من ألمع شعراء العالم في مختلف العصور، وذلك لموهبته الخارقة في الخيال الموضوعي والبراعة في التّصوير، والقدرة الفريدة للسموّ بالكلمة حتّى تصبح نغما.

1- حنان عبد الرحمن: منتدى المقالات الأدبية.

2- فطيمة المراكشية: منتديات واحة الإعاقة والأمل.

*** شعره:**

يعدّ "فيكتور هوجو" شاعرا غنائيا في المحلّ الأوّل، وقد ترجم جميع العواطف الإنسانية: الحبّ النّبوي، الحبّ الأبوي، والآمال، والأحزان، والأسرة، والوطن، ضف إلى ذلك، الألم الفلسفي، والتطوّر الدّيني، ولغز الموت والمجهول...

ومن أشهر آثاره الغنائية:

- نشائد جديدة (1824م)، Odes.
- نشائد جديدة (1824م)، Odes nouvelles.
- الشّرقيات (1829م) Les orientales [1].
- أوراق الخريف (1831م) Les feuilles d'automne.
- الأصوات الدّاخلية (1837م) Les voix intérieures.
- الأشعّة والظّلال (1840م) Les Rayons et les Ombres.
- التأمّلات (1856م) Les Complations.

[1]- البؤساء: فيكتور هوجو، ج01، تر: منير البعلبكي، لبنان: دار العلم للملايين، ط01، 2008، ص07.

*** مسرحيّاته:**

اقتحم الميدان المسرحي بدراما كروميل Cromwel والّتي عدّت مقدّمتها بمثابة البيان للمدرسة المسرحيّة

النّاشئة الّتي طالبت بضرورة الأخذ بحريّة المسرحيّة.

ومن أشهر مسرحياته:

- كروميل Cromwel (1827م) شعريّة.
- هيرناني Hernani (1830م) شعريّة.
- الملك يلهو Le Roi s'Amuse (1832م) شعريّة.
- لوكريس بورجيا Lucrèce Borgia (1833م) نثرية.
- ماري تيودور Marie Théodore (1833م) نثرية [1].

*** رواياته:**

ألّف "فيكتور هوجو" العديد من الرّوايات منها "نوتردام دوباري" Notre Dame de Paris (1831م)، و"الرجل الذي يضحك" (1869م)، لتحتلّ رواية البؤساء "Les Misérables" صفة البقاء والدّوام على طول الدّهر لأنّه دافع فيها عن الطّبقة التي يحتقرها المجتمع، والّذين يجب أن تردّ جميع جرائمهم إلى ذلك المجتمع نفسه [2].

1- البؤساء ،فيكتور هوجو،ج،1 ص08.

2- المرجع نفسه، ص08-09.

كتب أوّل مسرحية له وهو في سنّ الرّابعة عشرة من عمره ونشر أوّل ديوان شعري وهو في سنّ العشرين لينشر بعد ذلك أوّل رواية أدبية. نشر أكثر من خمسين رواية ومسرحية خلال حياته [1].

- أحدب نوتردام (1831)، Notre Dame de Paris.
- البؤساء (1862)، Les Misérables.
- رجل نبيل Noble Homme.
- عمّال البحر (1866)، Les Travailleurs de La Mer.
- آخر يوم في حياة رجل محكوم عليه بالإعدام Le Dernier Jour d'Un Condamné.
- ثلاثة وتسعين يوما (1874)، Quatre Vingt Treize Jours.
- مسرحيّة مجنون كرومويل (1897)، Preface de Cromwell.
- رواية لوكريس بورجيا Lucrèce Borgia.

1- موقع المخترعون العرب فيكتور هوجو امير الادب الفرنسيwww.mawhopon.net

*** مكانة فيكتور هوجو:**

يعدّ "فيكتور هوجو" من كبار الشّعراء الرومانسيين الّذين ذاع صيتهم في العالم منذ القديم وحتّى يومنا هذا، وقد أطلق عليه الفرنسيون شيخ الطريقة الرومنسية والشعر الغرامي المعروف باسم "ليريك" "Lyric"، كما عدّ من فحول القصّاصين ومؤلفي الرّواية التّمثيلية المشهورة باسم "درام."

وهو لا يزال إلى يومنا إمام الشّعر الغرامي ومجدّد أساليب النّظم والنّثر فقد لقّب بـ "أبي الشّعر العصري"، وقد اتبع الشّعراء طريقته وسلكوا مسلكه، وترجع شهرته إلى كونه نبغ في عصر الانقلاب والتجدّد وقد طال عمره وكثر عمله فقد كان لسان حال الأمّة وترجمانها في كلّ انقلاب حصل فكلّ تلك الظّروف السّياسية دعت إلى استماع قول الشّاعر الحكيم والتمثّل بأشعاره في نوادي السّمر.

كما احتل مكانة مرموقة بسبب اقتران اسمه باسم "نابليون" فقد كان يمدح نابليون الأوّل ويهجو نابليون الثّالث. كما أنّه لم يترك بابا من أبواب الشّعر إلّا طرقه ولا قضية إلا بحث فيها أمّا الأسباب الأخرى التي جعلت من الرّجل مشهورا هو سهولة شعره ووضوحه وتصوير المسائل العظيمة والأفكار الدّقيقة، كما كان يحضّ على الإحسان للفقراء والرّفق بهم [1].

ومن البواعث على شهرة "فيكتور هوجو" هو غزارة معرفته، وعلمه بدقائق اللّغة الفرنسية وبعلم القوافي والعروض والموسيقى وما يلزم الشّعر، وكان حكيما فيلسوفا ملمّا بعلوم التّاريخ والجغرافيا وأسماء البلدان والعلوم الرّياضية...

وقد قال عنه النقّاد أنّه: "أنطق الجماد وتوصّل بأساليبه الشّعرية إلى وصف المناظر الطّبيعية وتصوير العصور الخالية والهيئة الاجتماعية بأحسن تصوير وأبدع وصف".

المبحث الثاني: زيارته لإسبانيا.

[1] – روحي الخالدي: تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوجو، ص287-293.

بعثه والده للتعلّم في إسبانيا، ولعلّها من المراحل الحاسمة في حياته، والقاسية أيضا لاسيما بسبب ذلك الأحدب الّذي كان يوقضه وباقي الطلبة كلّ صباح ليجعل منه فيما بعد عنوان مسرحيته "أحدب نوتردام"، وكان هناك أيضا صبيّان يضربانه كلما وجدا إلى ذلك سبيلا ليشتقّ من أحدهما شخصية "مجنون كرومويل" في مسرحيته "مجنون كرومويل" ومن الآخر شخصية البغيض في روايته "لوكريس بورجيا"، ليعود بعد ذلك إلى باريس حيث كان أمل الوالد أن يدرس ابنه الهندسة لكن مع ميول الفتى الكبير للشعر رفض أن يحقّق رغبة والده فترك الهندسة واتّجه لدراسة الحقوق وتعلّم الأدب اللّاتيني فعاقبه والده بقطع معاشه الشّهري الّذي كان يرسله له، وهذا ما جعل "هوجو" يعتمد على قلمه في كسب معيشته [1].

وعندما عاد إلى إسبانيا تقدّم إلى خطبة "أديل" زميلته منذ أيّام الدراسة، لكنّ والدها رفض في البداية بسبب وضع "فيكتور هوجو" المادّي، ليكتب رائعته "هان ديزلاند"، والّتي نالت إعجاب "لويس الثّامن عشر" وقرّر صرف معاش سنويّا لـ"فيكتور هوجو" مقداره (ألف فرانك فرنسي)، والّذي ساعده على الزّواج بـ"أديل" بعد موافقة والدها [2].

وفي سنة 1851م حدث انقلاب سياسي وقد كان "فيكتور هوجو" حينها مشتغلا بالسّياسة ليصل إلى رئاسة الحزب اليساري الاشتراكي وقد حاول هو وأنصاره مقاومة الانقلاب لكنهم فشلوا مما اضطرّه إلى التوجّه إلى بلجيكا ليكتب روايات لاذعة تنتقد الحكم ليضيق الخناق عليه مما جعله يفرّ إلى لندن، ليستقر أخيرا في جزيرة صغيرة في بحر المانش بالقرب من سواحل نورماندیا. وفي هذه الآونة غرقت ابنته وزوجها في نهر السّين وأصيبت ابنته الأخرى بالجنون.

1- منتديات الثقافة والأدب ،سلسلة أعلام الأدب العالمي: فيكتور هوجو، الشغوف بالحرية...التّائر على الموت.23-05-2012م،17:25.

2- منتديات الثقافة والأدب: سلسلة أعلام الأدب العالمي، فيكتور هوجو، الشغوف بالحرية...الثائر على الموت،:07سبتمبر 2007م،03:15

وفي سنة 1870م عاد إلى فرنسا بعد سقوط حكم نابليون الثّالث، وظلّ دائما مداوما على الكتابة، ليصاب في 18 مايو 1885م بالتهاب رئوي ولما اشتدّ عليه المرض ودّع أصدقاءه بآخر بيت شعري (ها هنا يقتتل اللّيل والنّهار). وقال له صديقه "بول موريس" "Paul Moriss": «أنت لن تموت يا سيّد فيكتور» فقال "هوجو": «كلّا...ها هو الموت فمرحبا به...الوداع» [1]. لتكون الوفاة في سنة 1885م [2].

وفاته:

ولما توفي "فيكتور هوجو" سنة 1885 لبست باريس عليه ثوب الحداد وأقيم له مأتم عظيم، ووضعت جثته في تابوت عال تحت قنطرة النصر، التي زيّنت بالأزهار والرّياحين، وقد حضر الجنازة الشّعراء والفرسان وسهروا عليه طوال الليل، وهذا مشهد لم يسبق لشاعر قبله. وقد أوصى قبل وفاته أن لا يحضر جنازته راهب ولا أحد من الاكليروس وأن يدفن كالفقراء لذلك كانت العربة التي حملوه عليها من عربات الفقراء ولم يجر له احتفال ديني وإنما احتفال أهلي.

وقد ذكرنا آنفا أن شاعرنا انتقل مع أسرته إلى إسبانيا الّتي كان "نابوليون بونابرت" Napoléon Bonaparte قد ألحقها بالإمبراطورية الفرنسية، والّتي كان يحكمها الجنرال والد "فيكتور هوجو" هذه الفترة الّتي قضاها "فيكتور هوجو" في إسبانيا من (1811م/1812م) سمحت له باكتشاف عالم يختلف كلّ الاختلاف عن بلده سواء من ناحية العمران أو من جهة نمط المعيشة فأعجب كلّ الاعجاب وفُتن بإسبانيا وبحضارتها المشرقية الّتي ظلّت راسخة في ذاكرة الفتى الشّاعر، من قصور ومساجد مزيّنة الأبواب والنّوافذ والجدران بالآيات القرآنية وبالنّقوش الزّخرفية العربيّة [3].

1- المنتدى السّابق.

2- إبراهيم مرزوق: دائرة المعارف الثّقافية، القاهرة: الدّار الثّقافية للنّشر، ط01، 1428هـ/2007م، ص201.

3- معجب بن سعيد الزهراني ، الثقافي: الشرق والشرقيون في ديوان فيكتور هوجو: ، 2001م/1421هـ.

كما أنّه عرف في إسبانيا أول علاقة حبّ في حياته اتجاه تلك الفتاة الاسبانية الّتي كانت تكبره ببضع سنوات وقد كتب عن هذه العلاقة قائلا:

- في إسبانيا هذه الّتي أحببت.
- مطلع كلّ يوم وكلّ ربيع.
- قالت لي بيبا –أنا ابن الثّامنة– يا فتى.
- اسمي –بيبا– ووالدي من سراة القوم هنا.
- لحظتها شعرت بأنني رجل يعيش في بلد محتلّ.
- وتراوده أحلام مختلطة بحالة الحرب [1].

En Espagne celle que j'ai aimé le commencement de chaque jour et de chaque printemps.

Elle m'a dit Biba je suis la fille de huit ans, garçon Je m'appelle Biba, et mon père de soraya.

A ce moment je ne suis senti comme un homme qui vit dans pays colonisé.

Et cil voyait des rêves mélangés avec l'état de guerre !

إنّ القارئ لهذا المقطع يلاحظ للوهلة الأولى شدّة تعلّق الشّاعر بإسبانيا وإعجابه بها فقد ذكرها ولم ينسها وهو في حالة هيام وعشق لمحبوبته "بيبا".

كما قرأ خلال تلك الفترة نسخة من "ألف ليلة وليلة" والّتي حرصت أمّه على أن تكون ضمن حاجات السّفر، وبذلك فتحت حكاياتها العجيبة مخيّلة الطفل وأطلقت العنان لأحلامه باتجاه تلك الفضاءات الشرقية البعيدة المدهشة والّتي تتراءى صورها الخلّابة مرّة في الحكايات ومرّة في هذه المدن

[1] – انظر الديوان.

الإسبانية المليئة بآثار الشّرق الحضارية الحيّة فقد لاحظ الشّاعر وهو يتجوّل بين مدنها اختلافها الكبير عن المدن الفرنسية الّتي عاش فيها.

المبحث الثالث: إسلام فيكتور هوجو.

لقد تعدّدت وتباينت الآراء حول فكرة إسلام "فيكتور هوجو" والّذي يؤيّد هذه القضية ويجعلها محلّ أخذ وردّ، هو تلك القصائد الّتي كتبها عن الإسلام وعن النبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وقصيدته السّنة التّاسعة للهجرة 1858م من أروع ما كتب شاعر غربيّ في حقّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم (L'an neuf de L'Hegire) يقول فيها "فيكتور هوجو":

Comme s’il pressentait que son heure était proche,

كمن خالجه الإحساس بدنوّ الموت منه.

Grave, il ne faisait plus à personne une reproche ;

فلم يُنْحِ أبداً باللاّئمة على أحد مهما كان.

Il marchait en rendant aux passants leur salut ;

مشى وهوّ يردّ على تحيّة العابرين بمثلها.؛

On le voyait vieillir chaque jour, quoiqu’il eût

A peine vingt poils blancs à sa barbe encore noire ;

ويوماً عن يوم خط الشيب سواد شعر لحيته.

Il s'arrêtait parfois pour voir les chameaux boire,

توقّف وهو يرى النوق تطفيء غلتها في الماء

Se souvenant du temps qu'il était chamelier.

كمن يتذكرّ ماضيّه إبّان رحلاته صحبة القوافل.

Il semblait avoir vu l'Eden, l'âge de d'amour,

بدا وكأنّه يرى زمن الحبّ في جنّات عدن

Les temps antérieurs, l'ère immémoriale.

وفي العهود السالفة التي لا تنسى.

Il avait le front haut, la joue impériale,

كان عاليّ الجبين، خدّاه ملائكيّان.

Le sourcil chauve, l'œil profond et diligent,

حاجباه غير كثيفين وعيناه عميقتان.

Le cou pareil au col d'une amphore d'argent,

عنقه أشبه شيء بمحبقة زهور فضيّة.

L’air d’un Noé qui sait le secret du déluge [1].

سَمْتُ نُوحٍ ذلك العارف بسرّ الطوفان.

Si des hommes venaient le consulter, ce juge

حاكم إذا احتكم إليه رجلان فإنّه بهيبته

Laissait l’un affirmer, l’autre rire et nier,

يترك المُدان معترفاً والمتضرّر مطمئنّاً

Ecoutait en silence et parlait le dernier.

يصغي بصمت ولا يتكلّم إلاّ آخر المتكلّمين.

Sa bouche était toujours en train d’une prière ;

لا يجري على لسانه دائما غير ذكر الله.

Il mangeait peu, serrant sur son ventre une pierre ;

1- الوثائق الدّولية المعنية بحقوق الإنسان: بسيوني محمّد شريف، المجلّد الثاني، القاهرة، دار الشّروق، 2003، وقد نشرت هذه الوثيقة بتصريح من المعهد الدّولي لحقوق الإنسان بجامعة دي بول شيكاغو.

قليل الميل إلى الطعام. يشدّ الحزام على بطنه.

Il s’occupait de lui-même à traire ses brebis ;

يسهر بنفسه على حلب نعاجه.

Il s’asseyait à terre et cousait ses habits.

يجلس على الأرض ويرتّق ثيّابه.

Il jeûnait plus longtemps qu’autrui les jours de jeûne,

كثير الصوم خارج الأيّام الرمضانيّة،

Quoiqu’il perdît sa force et qu’il ne fût plus jeune.

لهذا ضعفت قوّته حتّى كأنّه غير شاب.

A soixante-trois ans une fièvre le prit.

داهمته حمّى وهو ذو ثلاثة وستّين عاماً.

Il relut le Coran de sa main même écrit,

قرأ القرآن وبيده كتبه.

Puis il remit au fils de Séid la bannière,

ثمّ سلم البيْرق إلى "ابن السيد"

En lui disant : ' Je touche à mon aube dernière.

قائلا له: أنا قريب من فجريّ الأخير.

Il n’est pas d’autre Dieu que Dieu. Combats pour lui.

ليس هناك من إله إلاّ الله فجاهد من أجله.

Et son œil, voilé d’ombre, avait ce morne ennui

وبما أن ظلاً حجب النظر عن عينه كان.

D’un vieux aigle forcé d’abandonner son aire.

شبيهاً بنسر عجوز مرغم على هجران الطيران.

Il vint à la mosquée à son heure ordinaire,

أتى إلى المسجد في الوقت العاديّ.

Appuyé sur Ali le peuple le suivant ;

متكئاً على عليّ ووراءه أنصاره.

Et l’étendard sacré se déployait au vent.

بينما يخفق البيْرق المقدّس تُحرّكه الريح.

Là, pâle, il s’écria, se tournant vers la foule ;

متعباً شاحباً التفت الى الجموع.

’ Peuple, le jour s’éteint, l’homme passe et s’écroule ;

أيّها الناس. النهار إلى انطفاء والإنسان إلى زوال.

La poussière et la nuit, c’est nous. Dieu seul est grand.

نحن كالغبار وكالليل، والله وحده الأكبر.

Peuple je suis l’aveugle et suis l’ignorant.

أيّها الناس، أنا الجاهل وأنا الأعمى.

Sans Dieu je serais vil plus que la bête immonde.

بدون إله لن أكون غير كائن من كائنات الغاب.

Un cheikh lui dit : ' o chef des vrais croyants ! le monde,

قال له شيخ: "يا أمير المؤمنين الحقيقيّن: إنّ العالم.

Sitôt qu’il t’entendit, en ta parole crut ;

بمجرّد ما يسمع قولك يوم نبه.

Le jour où tu naquit une étoile apparut,

ففي يوم ميلادك أشرق نجم.

Et trois tours du palais de Chosroès tombèrent.

وتهدّمت ثلاثة أروقة من إيوان كسرى".

Lui, reprit : ' Sur ma mort les Anges délibèrent ;

وتابع قوله: قد تداول الملائكة شؤون موتي.

L’heure arrive. Ecoutez. Si j’ai de l’un de vous

الساعة دقّت. أنصتوا. إذا كنت قد ذكرت أحدكم بسوء.

Mal parlé, qu’il se lève, ô peuple, et devant tous

فليقف أمامي وليسبّني وليشهّرْ بي أمام الجميع.

Qu’il m’insulte et m’outrage avant que je m’échappe ;

قبل أن تفيض روحي.

Si j’ai 34 rappe quelqu’un, que celui-là me frappe.

وإذا كنت قد اعتديت على إنسان فليقف ويعتد عليّ.

Et, tranquille, il tendit aux passants son bâton.

وهادئاً يشهر على المارّة عصاه.

Une vieille, tondant la laine d’un mouton,

عجوز تجزّ صوف خروف.

Assise sur un seuil, lui cria : ’ Dieu t’assiste !

جالسة على عتبة قالت له صائحة : "أعانك الله".

Il semblait regarder quelque vision triste,

بدا وكأنّه رأى رؤيا حزينة.

Et songeait ; tout à coup, pensif, il dit : ' voilà,

ومباشرة تأمّل كمن يفكّر وقال: انظروا كلّكم:

Vous tous, je suis un mot dans la bouche d’Allah ;

أنا كلمة على لسان الله.

Je suis cendre comme homme et feu comme prophète.

أنا رماد كإنسان ونار كنبيّ.

J’ai complété d’Issa la lumière imparfaite.

أنجزت ما بقيّ غير كامل من نور عيسى.

Je suis la force, enfants ; Jésus fut la douceur.

أنا القوّة وطفلاً كان عيسى صاحب السلوك الحلو.

Le soleil a toujours l’aube pour précurseur.

كان الفجر للشمس رديفاً.

Jésus m’a précédé, mais il n’est pas la Cause.

سبقني عيسى ولم يكن السبب.

Il est né d’une Vierge aspirant une rose.

بل كان ابن عذراء يفوح منها عطر زهرة.

Moi, comme être vivant, retenez bien ceci,

احفظوا ما أقول جيّداً، أنا لست إلاّ مخلوقاً حيّاً.

Je ne suis qu’un limon par les vices noirci ;

ما أنا إلاّ طميٌ متكوّن من سوابق مسودّة،

J’ai de tous les péchés subi l’approche étrange ;

لقد عانيت من فرط الذنوب كلّ أنواع الضنى.

Ma chair a plus d’affront qu’un chemin n’a de fange,

ليس لإهابي من ميزة غير طريق لا دليل لها.

Et mon corps par le mal est tout déshonoré ;

وجسدي بالشر ملوّث.

O vous tous, je serais bien vite dévoré

يا أنتم عن قريب سوف أصبح سهل الالتهام.

Si dans l’obscurité du cercueil solitaire

وأنا في ظلام النعش وحيد.

Chaque faute engendre un ver de terre.

كلّ خطإ تتولّد عنه دُودة تراب.

Fils, le damné renaît au fond du froid caveau

إنّ المعذّب في عمق مغارة باردة.

Pour être par les vers dévoré de nouveau ;

ولد من أجل أن يكون من جديد غذاء لدُود الأرض،

Toujours sa chair revit, jusqu’à ce que la peine,

أبداً يتجدّد إهابه إلى حدّ أن الشقاء النهائيّ.

Finie ouvre à son vol l’immensité sereine.

يفتح المدى الصاحيّ أمام تحليقاته.

Fils, je suis le champ vil des sublimes combats,

أبنائي، ما أنا إلاّ حقل وضيع تجري فيه معارك ساميّة.

Tantôt l’homme d’en haut, tantôt l’homme d’en bas,

حيناً يعلو فيه الإنسان وحيناً آخر يسفل فيه.

Et le mal dans ma bouche avec le bien alterne

الشرّ على لساني يوازيه الخير.

Comme dans le désert le sable et la citerne ;

شبيه بالصحراء تجمع بين الرمال والآبار،

Ce qui n’empêche pas que je n’aie, ô croyants !

الشيء الذي لا يمنع من أنّني ولدت يا أيّها المؤمنون.

Tenu tête dans l’ombre au x Anges effrayants

لأجابه في الظلّ ملائكة مرعبين.

Qui voudraient replonger l’homme dans les ténèbres ;

يريدون إعادة إغراق الإنسان في الدياجير،

J’ai parfois dans mes poings tordu leurs bras funèbres ;

أحياناً تكون قبضتا يديّ ملتويّتين وساعداهما ميّتتين.

Souvent, comme Jacob, j’ai la nخuit, pas à pas,

وشبيهاً بيعقوب، كثيراً ما كنت خطوةً إثر خطوة.

Lutté contre quelqu’un que je ne voyais pas ;

أقاوم في الليل إنساناً لا أراه،

Mais les hommes surtout on fait saigner ma vie ;

ولكن الناس على الأخصّ هم من تسبّبوا في نزيف حياتي،

Ils ont jeté sur moi leur haine et leur envie,

فقد انقضّوا عليّ وأثقلوني بكراهيّتهم وشراهتهم،

Et, comme je sentais en moi la vérité,

وبما أنّني أحسست بالحقيقة في ذاتي.

Je les ai combattus, mais sans être irrité,

فإنّني قاومتهم دون أن أصاب بسوء،

Et, pendant le combat je criais : ' laissez faire !

وأثناء المعركة صرخت: اتركوه يفعل.

Je suis le seul, nu, sanglant, blessé ; je le préfère.

أنا الوحيد العاري الدامي الجروح: أنا أفضّل ذلك.

Qu’ils frappent sur moi tous ! Que tout leur soit permis !

ليضربني أعدائي كلّهم وليكن مسموحاً لهم بفعل كلّ شيء.

Quand même, se ruant sur moi, mes ennemis

فهم مهما يكن الأمر أعدائي الذين يتّجهون صوبي.

Auraient, pour m’attaquer dans cette voie étroite,

من أجل أن يهاجموني في هذا الدرب الضيّق.

Le soleil à leur gauche et la lune à leur droite,

الشمس على يسارهم والقمر على يمينهم.

Ils ne me feraient point reculer ! ’C’est ainsi

إنّهم لم يستطيعوا إجباري على التقهقر. هكذا.

Qu’après avoir lutté quarante ans, me voici

وبعد كفاحي مدّة أربعين عاماً ها أنذا.

Arrivé sur le bord de la tombe profonde,

قريب من وهدة القبر العميق.

Et j’ai devant moi Allah, derrière moi le monde.

وأمامي الله وخلفيّ العالم.

Quant à vous qui m’avez dans l’épreuve suivi,

أما أنتم يا من وضعتموني موضع اختبار.

Comme les grecs Hermès et les hébreux Lévi,

مثل "هرامسة" الإغريق و"لاوي" العبريّين.

Vous avez bien souffert, mais vous verrez l’aurore.

فقد عانيتم الألم، لكنكمّ ستشاهدون الشروق.

Après la froide nuit, vous verrez l’aube éclore ;

بعد الليل البارد، سترون الصبح يتفتّح.

Peuple, n’en doutez pas ; celui qui prodigua

أيّها الناس لا تشكّوا في هذا، فالذي جاد.

Les lions aux ravins du Jebbel-Kronnega,

بالسباع على خندق الجبل الشامخ.

Les perles à la mer et les astres à l’ombre,

وباللؤلؤ على البحار وبالنجوم على الظلال،

Peut bien donner un peu de joie à l’homme sombre. ’

لقادر على منح قليل فرح إلى الإنسان الكالح،

Il ajouta ; ' Croyez, veillez ; courbez le front.

وأضاف قائلاً: آمنوا. تمنّوا. طأطئوا الجباه،

Ceux qui ne sont ni bons ni mauvais resteront

فالذين ليسوا أخياراً ولا أشراراً سيبقون.

Sur le mur qui sépare Eden d’avec l’abîme,

محاصرين بالسور الفاصل بين الجنّة والنار،

Etant trop noirs pour Dieu, mais trop blancs pour le crime;

لأنّهم قاتمو السواد عند الله وشديدو البياض عند اقتراف الجريمة.

Presque personne n’est assez pur de péchés

إنّه ليس هناك إنسان منزّه عن ارتكاب الخطايا.

Pour ne pas mériter un châtiment ; tâchez,

فلا يستحق العقاب. حاولوا.

En priant, que vos corps touchent partout la terre ;

وأنتم تصلّون أن تجعلوا أجسادكم تلمس كلَّ أنحاء الأرض.

L’enfer ne brûlera dans son fatal mystère

فالنار لن تحرق بأسرارها القدريّة.

Que ce qui n’aura point touché la cendre, et Dieu

غير الذين لم يمسّوا الرماد، والله.

A qui baise la terre obscure, ouvre un ciel bleu ;

بسط الأرض المظلمة وفتح سماء زرقاء.

Soyez hospitaliers ; soyez saints ; soyez justes ;

كونوا كرماء. كونوا أتقياء. كونوا عادلين.

Là-haut sont les fruits purs dans les arbres augustes,

في الأعالي هي الفواكه الخالصة سليلة الأشجار المهيبة.

Les chevaux sellés d’or, et, pour fuir aux sept dieux,

والجيّاد سُرُوجُها ذهبيّة، ولكي تنأون عن الآلهة السبع.

Les chars vivants ayant des foudres pour essieux ;

فإن المدرّعات الحيّة ليس في أحشائها غير حمم صاعقة،

Chaque houri, sereine, incorruptible, heureuse,

كلّ حوريّة، صاحيّة مطمئنّة سعيدة.

Habite un pavillon fait d’une perle creuse ;

تسكن مقصورة بنيّت من جمانة مجوّفة،

Le Gehennam attend les réprouvés ; malheur !

أمّا جهنّم فهيّ في انتظار الأشقيّاء المدانين.

Ils auront des souliers de feu dont la chaleur

ينتعلون نعالاً ناريّة حرّها.

Fera bouillir leur tête ainsi qu’une chaudière.

يغْلي رؤوسهم غليان فرن.

La face des élus sera charmante et fière. '

بينما وجوه الصالحين رائعة ومعتزّة بنفسها.

Il s’arrêta donnant audience à l’espoir.

توقّف متيحاً فرصة الكلام إلى الأمل.

Puis poursuivant sa marche à pas lents, il reprit :

ثمّ وهوّ يتابع سيره بخطىً بطيئة قال:

’ O vivants ! Je répète à tous que voici l’heure

أيّها الأحياء أقرّ للجميع بأنّ دُنُوّ الساعة التي.

Où je vais me cacher dans une autre demeure ;

سأكون فيها ضيفاً على سكن آخر.

Donc, hâtez-vous. Il faut, le moment est venu,

إذن عجّلوا، فهذه هيّ اللحظة الموعودة.

Que je sois dénoncé par ceux qui m’ont connu,

التي تسنح للذين فضحوني عن طريق الذين عرفوني.

Et que, si j’ai des torts, on me crache aux visages. ’

بأنّني إذا ارتكبت خطأً فليبصقوا في وجهي.

La foule s’écartait muette à son passage.

انفرط الجمع صامتين عند مروره.

Il se lava la barbe au puits d'Aboufléia.

بلّل لحيته بماء بئر "أبوفيليّة".

Un homme réclama trois drachmes, qu'il paya,

طالبه رجل بثلاثة دراهم دفعها قائلا:

Disant : ' Mieux vaut payer ici que dans la tombe. '

خير لي أن أؤديّها هنا من أن أؤديّها في القبر.

L'œil du peuple était doux comme un œil de colombe

كانت عيون الحاضرين عذبة كما لو أنّها عينا حمامة.

En le regardant cet homme auguste, son appui ;

Tous pleuraient ; quand, plus tard, il fut rentré chez lui,

بكوا جميعاً لمّا رأوه بعد ذلك يدخل إلى بيته.

Beaucoup restèrent là sans fermer la paupière,

كثير منهم لزموا المكان دون أن يغمض لهم جفن.

Et passèrent la nuit couchés sur une pierre

قضوا الليل نائمين على الأرض.

Le lendemain matin, voyant l’aube arriver ;

وفي الغد عندما طلع النهار.

' Aboubékre, dit-il, je ne puis me lever,

ذكر أبو بكر أنّ محمّداً لم يستطع أن يقوم من فراشه.

Tu vas prendre le livre et faire la prière. '

وقال له: خذ المصحف وأقم الصلاة.

Et sa femme Aïscha se tenait en arrière ;

تراجعت زوجته عائشة إلى الوراء.

Il écoutait pendant qu’Aboubékre lisait,

ومحمّد ينصت إلى ترتيل أبي بكر.

Et souvent à voix basse achevait le verset ;

وكان غالبا ما يخفض صوته عن نهاية الآية.

Et l’on pleurait pendant qu’il priait de la sorte.

شوهد محمّد يبكي وأبو بكر يرتّل بهذه الطريقة.

Et l’Ange de la mort vers le soir à la porte

كان ملاك الموت عند المساء وراء الباب.

Apparut, demandant qu’on lui permît d’entrer.

أهلّ طالباً أن يسمح له بالدخول.

’Qu’il entre. ’On vit alors son regard s’éclairer

ليدخل، بدا نظر النبيّ يشعّ.

De la même clarté qu’au jour de sa naissance ;

بنفس الإشعاع الذي كان له يوم ميلاده.

Et l’Ange lui dit : ’Dieu désire ta présence.

فقال له الملاك: يريد الله حضورك.

- Bien ', dit-il. Un frisson sur les tempes courut,

قال النبيّ نعم. رعشة علت صدغيه.

Un souffle ouvrit sa lèvre, et Mahomet mourut.

نفحة فتحت شفتيه ومات محمد.

تحدّث "فيكتور هوجو" في هذه القصيدة الطويلة عن الرّسول الكريم كيف كان يحلب ويخيط وعن جلوسه، وأشار فيها إلى سقوط شرفات إيوان كسرى يوم مولده، كما قرأ "فيكتور هوجو" ترجمة القرآن الكريم، ودرس تاريخ الإسلام وحياة محمّد صلّى الله عليه وسلّم وقد تأثّر بشخصية النبيّ الكريم.

يقول "فيكتور هوجو" عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: «كانت له جبهة شماء ووجنة نبيلة، حاجب خفيف، وعينان عميقتان دوارتان، وعنق شبيه بعنق أنية من فضة وفم كأنما هو دائمًا في صلاه وكان يخدم نفسه بنفسه، ويرعى أغنامه ويخيط ثوبه بيده» [1].

لقد كتب الكاتب السّنغالي "إبراهيم هان" عن إسلام "فيكتور هوجو". وقال بأنّ الشّاعر أبدع عدّة قصائد إسلامية لم يكتب النّشر لأيّ منها في دوانينه أو كتبه المعروضة في المكتبات الفرنسيّة، وبعض هذه القصائد الّتي نشرها المركز الفرنسي للبحث العلمي تعرّضت للتحريف والتّزوير في بعض الأبيات فقد حذفت منها مقاطع ووضعت أخرى مكانها وذلك لتشويه حقيقة إسلام "فيكتور هوجو" وقد ساق "إبراهيم هان" نماذج عن الاعتداءات الأدبية الخطيرة التي تعرّض لها تراث "هوجو".

1- نعمة عزّ الدّين: مجلّة إرم نيوز (سحر الشّرق بعيون جنيه وغوته وهوجو)، 22 مايو 2016.

«وللعلم فنحن نربأ بأنفسنا أن نعيد نشرها هنا...فكيف نعيد نشر أبيات مدسوسة...أرادوا بها الإساءة والتشكيك في إسلام الكاتب في حين أنّنا على يقين بهذا...التّعريف والغاية الّتي من ورائه ؟»

يقول "إبراهيم هان": «إنّ كلّ المخطوطات حول الإسلام الّتي كتبها هذا الشّاعر ولم تنشر، ينبغي من الآن فصاعدا أن تعتبر بمثابة (ملك) في التراث العالمي [1] لكلّ الإنسانيّة، وينبغي المحافظة عليها حتّى يطلع عليها العالم كلّه...وبالتّالي الإطّلاع على إبداعاته كلّها...الّتي تعرّضت للإقصاء والتكتّم...منذ أكثر من قرن من الزّمان».

ويقال أنّ "فيكتور هيجو" قد أسلم ونطق بالشّهادتين: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا رسول الله" يوم 06 شتنبر 1881م في بيته بباريس بحضور الشيخ "إبراهيم" من تلمسان، وقد سمّى نفسه "أبو بكر" ولكنّ الماسونيّين الفرنسيين الّذين كانوا يسيّرون الجمهورية الثّالثة أقاموا له جنازة ماسونية ضخمة...قرّروا فيها إخفاء إسلام "فيكتور هوجو".

*** موقف الكنيسة من إسلام "هوجو":**

لقد اعتبرته الكنيسة رجلا مجنونا وقد كتبت صحيفة "لاكروا" يوم 23 ماي 1885م بعد يومين من وفاته أنّه كان "مجنونا طيلة ثلاثين سنة" وقد استلهم "فيكتور هوجو" أبيات من القرآن الكريم.

يقول في قصيدته آية من القرآن:

سوف تزلزل الأرض زلزالا شديدا

وسيقول الناس يومئذ مالها ؟

وسيخرج الناس من الظل ومن قلب الأرض أفواجا

1- الشّريف محمد بن علي الحسني: منتديات الأشراف أون لاين، قصيدة فيكتور هوجو في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، 16-07-2012، 04:06 AM

صفرا سيأتي الأموات ليروا أعمالهم

ومن يعمل شرا في وزن النملة

سوف يرونه ولن يكون الله معهم

ومن يعمل خيرا في وزن ذبابة

سوف يرونه ولن يؤثر الشيطان فيهم أبدا

منقول والله تعالى أعلم [1].

La terre tremblera d'un profond tremblement,
Et les hommes diront : Qu'a-t-elle ? En ce moment,
Sortant de l'ombre en foule ainsi que des couleuvres,
Pâles, les morts viendront pour regarder leurs œuvres.
Ceux qui firent le mal le poids d'une fourmi
Le verront, et pour eux Dieu sera moins ami ;
Ceux qui firent le bien ce que pèse une mouche
Le verront, et Satan leur sera moins farouche.

وقد اقتبس هذا من قرآننا الكريم وبالضبط من سورة الزلزلة:

1-.الشريف محمد بن علي الحسني ،منتديات الأشراف أون لاين ،المقالة السابقة.

﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا – وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا – وَقَالَ الْإِنسَانُ مَالَهَا – يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا – بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا – يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ – فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ – وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ**﴾ صدق الله العظيم. سورة الزلزلة.

في حين أورد "روحي الخالدي" في كتابه (تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوجو)، رأيا عن عقيدة "فيكتور هوجو" فقال بأنّ لفيكتور هوجو، اعتقاد ثابت في الله ورجاء كبير في حسن المستقبل وارتقاء الإنسان إلى دار السعادة، كما قال بأنّه: "لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وتبرأ من أصحاب هذين الدّينين وقال بأنهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وأوصى بعدم دفنه على سنن واحد منهما وبعدم حضور أحد من الرهبان النصارى ولا من أحبار اليهود في جنازته كما أنّه لم يكن يعرف حقيقة الدين الإسلامي ولا أمعن نظره في آيات القرآن –لما قدّمنا ذكره من الأسباب وهو عدم توسيع دائرة المعارف في عصره– والذي ذكره في شعره من القرآن هو أمثال قليلة نقلها عن غيره بدون أن يبحث فيها بفكره ومع ذلك ففيكتور هوجو موحّد اعترف في كثير من أشعاره باعتقاده بالله وحسن رجاته باليوم الآخر واهتدى للتوحيد بنظره في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار... وقد قال لقومه إني بريء مما تعبدون، فلم يكن مشركا بالله ولا كان منكرا جاحدا إنكار الشاعر فولتير وجحودي بل ربما كان حنيفا والحنيف هو الذي يؤمن بالله ولا يتخذ شكلا مخصوصا للعبادة وكان منهم أناس في الجزيرة العربية قبل الإسلام، مثل ورقة بن نوفل وغيره.... ولما ماتت بنته واشتدّ حزنه سب الله عدوا بغير علم ثمّ رجع واستغفر لذنبه وشبّه نفسه بالصبيّ الذي غضب ورمي البحر بحصاة، فهو لم يضرّ البحر في شيء ولكن فعله دليل على سفاهته وحمقه، فمثل الله كمثل البحر ولله المثل الأعلى...[1].

[1]– روحي الخالدي: تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوجو، ص289-290.

الفصل الثاني:

قراءة في ديوان الشرقيات

قلنا سابقا بأنّ "فيكتور هوجو" يُعَدُّ من الأدباء الفرنسيين المتميزين في القرن الثامن عشر وقد اشتهر كواحد من الكتّاب الّذين أطلقوا على أنفسهم (الكتاب الرّومنسيين)، لذلك وجد في عالم الشّرق الأرضية الخصبة الّتي تطلق العنان لخياله، وتفسح المجال لقلمه ليخطّ ويؤلّف أجمل ما يبدعه أديب، وهذا ما سوف نلاحظه في ديوانه المعنون بـ"الشّرقيات".

المبحث الأوّل: ترجمة المقدمتين الى اللغة العربية:

PRÉFACE DE L'ÉDITION ORIGINALE

L'auteur de ce recueil n'est pas de ceux qui reconnaissent à la critique le droit de questionner le poëte sur sa fantaisie, et de lui demander pourquoi il a choisi tel sujet, broyé telle couleur, cueilli à tel arbre, puisé à telle source. L'ouvrage est-il bon ou est-il mauvais ? Voilà tout le domaine de la critique. Du reste, ni louanges ni reproches pour les couleurs employées, mais seulement pour la façon dont elles sont employées. A voir les choses d'un peu haut, il n'y a, en poésie, ni bons ni mauvais sujets, mais de bons et de mauvais poëtes. D'ailleurs, tout est sujet ; tout relève de l'art ; tout a droit de cité en poésie. Ne nous enquérons donc pas du motif qui vous a fait prendre ce sujet, triste ou gai, horrible ou gracieux, éclatant ou sombre, étrange ou simple, plutôt que cet autre. Examinons comment vous avez travaillé, non sur quoi et pourquoi.

Hors de là, la critique n'a pas de raison à demander, le poëte pas de compte à rendre. L'art n'a que faire des lisières, des menottes, des bâillons ; il vous dit : Va ! et vous lâche dans ce grand jardin de poésie,

où il n'y a pas de fruit défendu. L'espace et le temps sont au poëte. Que le poëte donc aille où il veut, en faisant ce qui lui plaît ; c'est la loi. Qu'il croie en Dieu ou aux dieux, à Pluton ou à Satan, à Canidie ou à Morgane, ou à rien, qu'il acquitte le péage du Styx, qu'il soit du sabbat; qu'il écrive en prose ou en vers, qu'il sculpte en marbre ou coule en

3

bronze ; qu'il prenne pied dans tel siècle ou dans tel climat ; qu'il soit du midi, du nord, de l'occident, de l'orient ; qu'il soit antique ou moderne; que sa muse soit une muse ou une fée, qu'elle se drape de la colocasia ou s'ajuste la cotte-hardie. C'est à merveille. Le poëte est libre. Mettonsnous à son point de vue, et voyons. L'auteur insiste sur ces idées, si évidentes qu'elles paraissent, parce qu'un certain nombre d'Aristarques n'en est pas encore à les admettre pour telles. Lui-même, si peu de place qu'il tienne dans la littérature contemporaine, il a été plus d'une fois l'objet de ces méprises de la critique. Il est advenu souvent qu'au lieu de lui dire simplement : Votre livre est mauvais, on lui a dit : Pourquoi avez-vous fait ce livre?

Pourquoi ce sujet ? Ne voyez-vous pas que l'idée première est horrible,

grotesque, absurde (n'importe !), et que le sujet chevauche hors des limites de l'art ? Cela n'est pas joli, cela n'est pas gracieux. Pourquoi ne point traiter des sujets qui nous plaisent et nous agréent ? les étranges caprices que vous avez là ! etc., etc. A quoi il a toujours fermement répondu : que ces caprices étaient ses caprices ; qu'il ne savait pas en quoi étaient faites les limites de l'art, que de géographie précise du monde intellectuel, il n'en connaissait point, qu'il n'avait point encore vu de cartes routières de l'art, avec les frontières du possible et de l'impossible tracées en rouge et en bleu ; qu'enfin il avait fait cela, parce qu'il avait fait cela.

Si donc aujourd'hui quelqu'un lui demande à quoi bon ces Orientales? qui a pu lui inspirer de s'aller promener en Orient pendant tout un volume ? que signifie ce livre inutile de pure poésie, jeté au milieu des préoccupations graves du public et au seuil d'une session ? où est l'opportunité ? à quoi rime l'Orient ?... II répondra qu'il n'en sait rien, que c'est une idée qui lui a pris ; et qui lui a pris d'une façon assez ridicule, l'été passé, en allant voir coucher le soleil.

4

II regrettera seulement que le livre ne soit pas meilleur.

Et puis, pourquoi n'en serait-il pas d'une littérature dans son ensemble, et en particulier de l'oeuvre d'un poëte, comme de ces belles vieilles villes d'Espagne, par exemple, où vous trouvez tout : fraîches promenades d'orangers le long d'une rivière ; larges places ouvertes au grand soleil pour les fêtes ; rues étroites, tortueuses, quelquefois obscures, où se lient les unes aux autres mille maisons de toute forme, de tout âge, hautes, basses, noires, blanches, peintes, sculptées; labyrinthes d'édifices dressés côte à côte, pêle-mêle, palais, hospices, couvents, casernes, tous divers, tous portant leur destination écrite dans leur architecture ; marchés pleins de peuple et de bruit ; cimetières où les vivants se taisent comme les morts ; ici, le théâtre avec ses clinquants, sa fanfare et ses oripeaux ; là-bas, le vieux gibet permanent, dont la pierre est vermoulue, dont le fer est rouillé, avec quelque squelette qui craque au vent ; au centre, la grande cathédrale gothique avec ses hautes flèches tailladées en scies, sa large tour du bourdon, ses cinq portails brodés de bas-reliefs, sa frise à jour comme une collerette,

ses solides arcs-boutants si frêles à l'oeil ; et puis, ses cavités profondes, sa forêt de piliers à chapiteaux bizarres, ses chapelles ardentes, ses myriades de saints et de châsses, ses colonnettes en gerbes, ses rosaces, ses ogives, ses lancettes qui se touchent à l'abside et en font comme une cage de vitraux, son maître-autel aux mille cierges ; merveilleux édifice, imposant par sa masse, curieux par ses détails, beau à deux lieues et beau à deux pas ; - et enfin, à l'autre bout de la ville, cachée dans les sycomores et les palmiers, la mosquée orientale, aux dômes de cuivre et d'étain, aux portes peintes, aux parois vernissées, avec son jour d'en haut, ses grêles arcades, ses cassolettes qui fument jour et nuit, ses versets du Koran sur chaque porte, ses sanctuaires éblouissants, et la mosaïque de son pavé et la mosaïque de ses murailles ; épanouie au soleil comme une large fleur pleine de parfums?

5

Certes, ce n'est pas l'auteur de ce livre qui réalisera jamais un ensemble d'oeuvres auquel puisse s'appliquer la comparaison qu'il a cru pouvoir hasarder. Toutefois, sans espérer que l'on trouve dans ce qu'il a déjà bâti

même quelque ébauche informe des monuments qu'il vient d'indiquer,

soit la cathédrale gothique, soit le théâtre, soit encore le hideux gibet ; si on lui demandait ce qu'il a voulu faire ici, il dirait que c'est la mosquée.

Il ne se dissimule pas, pour le dire en passant, que bien des critiques le trouveront hardi et insensé de souhaiter pour la France une littérature qu'on puisse comparer à une ville du moyen-âge. C'est là une des imaginations les plus folles où l'on se puisse aventurer. C'est vouloir hautement le désordre, la profusion, la bizarrerie, le mauvais goût. Qu'il vaut bien mieux une belle et correcte nudité, de grandes murailles toutes simples, comme on dit, avec quelques ornements sobres et de bon goût : des oves et des volutes, un bouquet de bronze pour les corniches, un nuage de marbre avec des têtes d'anges pour les voûtes, une flamme

de pierre pour les frises, et puis des oves et des volutes ! Le château de Versailles, la place Louis XV, la rue de Rivoli, voilà. Parlez-moi d'une belle littérature tirée au cordeau! Les autres peuples disent : Homère, Dante, Shakespeare. Nous disons: Boileau.

Mais passons.

En y réfléchissant, si cela pourtant vaut la peine qu'on y réfléchisse peut-être trouvera-t-on moins étrange la fantaisie qui a produit ces Orientales. On s'occupe aujourd'hui, et ce résultat est dû à mille causes qui toutes ont amené un progrès, on s'occupe beaucoup plus de l'Orient qu'on ne l'a jamais fait. Les études orientales n'ont jamais été poussées.

si avant. Au siècle de Louis XIV on était helléniste, maintenant on est orientaliste. Il y a un pas de fait. Jamais tant d'intelligences n'ont fouillé à la fois ce grand abîme de l'Asie. Nous avons aujourd'hui un savant

6

cantonné dans chacun des idiomes de l'Orient, depuis la Chine jusqu'à l'Égypte.

Il résulte de tout cela que l'Orient, soit comme image, soit comme pensée, est devenu, pour les intelligences autant que pour les imaginations, une sorte de préoccupation générale à laquelle l'auteur de ce livre a obéi peut-être à son insu. Les couleurs orientales sont venues comme d'elles-mêmes empreindre toutes ses pensées, toutes ses rêveries et ses rêveries et ses pensées se sont trouvées tour à tour, et presque sans l'avoir voulu, hébraïques, turques, grecques, persanes, arabes,

espagnoles même, car l'Espagne c'est encore l'Orient ; l'Espagne est à demi africaine, l'Afrique est à demi asiatique.

Lui s'est laissé faire à cette poésie qui lui venait. Bonne ou mauvaise, il l'a acceptée et en a été heureux. D'ailleurs il avait toujours eu une vive sympathie de poëte, qu'on lui pardonne d'usurper un moment ce titre, pour le monde oriental. Il lui semblait y voir briller de loin une haute poésie. C'est une source à laquelle il désirait depuis longtemps se désaltérer. Là, en effet, tout est grand, riche, fécond, comme dans le moyen-âge, cette autre mer de poésie. Et, puisqu'il est amené à le dire ici en passant, pourquoi ne le dirait-il pas ? il lui semble que jusqu'ici ona beaucoup trop vu l'époque moderne dans le siècle de Louis XIV, et l'antiquité dans Rome et la Grèce ; ne verrait-on pas de plus haut et plus loin, en étudiant l'ère moderne dans le moyen-âge et l'antiquité dans l'Orient?

Au reste, pour les empires comme pour les littératures, avant peu peutêtre l'Orient est appelé à jouer un rôle dans l'Occident. Déjà la mémorable guerre de Grèce avait fait se retourner tous les peuples de ce côté. Voici maintenant que l'équilibre de l'Europe parait prêt à se rompre ; le statu quo européen, déjà vermoulu et lézardé, craque du côté de Constantinople. Tout le continent penche à l'Orient. Nous verrons

7

de grandes choses. La vieille barbarie asiatique n'est peut-être pas aussi dépourvue d'hommes supérieurs que notre civilisation le veut croire. Il faut se rappeler que c'est elle qui a produit le seul colosse que ce siècle puisse mettre en regard de Bonaparte, si toutefois Bonaparte peut avoir un pendant ; cet homme de génie, turc et tartare à la vérité, cet Alipacha, qui est à Napoléon ce que le tigre est au lion, le vautour à l'aigle. Janvier 1829.

8

PRÉFACE DE FÉVRIER 1829

Ce livre a obtenu le seul genre de succès que l'auteur puisse ambitionner en ce moment de crise et de révolution littéraire : vive opposition d'un côté, et peut-être quelque adhésion, quelque sympathie de l'autre.

Sans doute, on pourrait quelquefois se prendre à regretter ces époques plus recueillies ou plus indifférentes, qui ne soulevaient ni combats ni orages autour du paisible travail du poète, qui l'écoutaient sans l'interrompre et ne mêlaient point de clameurs à son chant.'

Mais les choses ne vont plus ainsi. Qu'elles soient comme elles sont. D'ailleurs tous les inconvénients ont leurs avantages. Qui veut la liberté de l'art doit vouloir la liberté de la critique ; et les luttes sont toujours bonnes. Malo periculosamlibertatem.

L'auteur, selon son habitude, s'abstiendra de répondre ici aux critiques dont son livre a été l'objet. Ce n'est pas que plusieurs de ces critiques ne soient dignes d'attention et de réponse ; mais c'est qu'il a toujours répugné aux plaidoyers et aux apologies. Et puis, confirmer ou réfuter des critiques, c'est la besogne du temps. Cependant il regrette que quelques censeurs, de bonne foi d'ailleurs, se soient formé de lui une fausse idée, et se soient mis à le traiter sans plus de façon qu'une hypothèse, le construisant a priori comme une abstraction, le refaisant de toutes pièces, de manière que lui, poète, homme de fantaisie et de caprice, mais aussi de conviction et de probité, est devenu sous leur plume un être de raison, d'étrange sorte, qui a dans une main un système pour faire ses livres, et dans

9

l'autre une tactique pour les défendre. Quelques-uns ont été plus loinencore, et, de ses écrits passant à sa personne, l'ont taxé de présomption, d'outrecuidance, d'orgueil, et, que sais-je ? ont fait de lui une espèce de jeune Louis XIV entrant dans les plus graves questions, botté, éperonné et une cravache à la main.

Il ose affirmer que ceux qui le voient ainsi le voient mal. Quant à lui, il n'a nulle illusion sur lui-même. Il sait fort bien que le peu de bruit qui se fait autour de ses livres, ce ne sont pas ces livres qui le font, mais simplement les hautes questions de langue et de littérature qu'on juge à propos d'agiter à leur sujet. Ce bruit vient du dehors et non du dedans. Ils en sont l'occasion et non la cause. Les personnes que préoccupent ces graves questions d'art et de poésie ont semblé choisir un moment ses ouvrages comme une arène, pour y lutter. Mais il n'y a

rien là qu'ils doivent à leur mérite propre. Cela ne peut leur donner tout au plus qu'une importance passagère, et encore est-ce beaucoup dire. Le terrain le plus vulgaire gagne un certain lustre à devenir champ de bataille. Austerlitz et Marengo' sont de grands noms et de petits villages.

Février 1829

1- ترجمة المقدّمة الأولى إلى اللّغة العربية:

إن كاتب هذه المجموعة الشعرية ليس من الذين يعترفون بالنّقد، بطريقة الشّاعر حول خياله، أو الطّلب لماذا اختار مثل هذا الموضوع أو ذاك، أو هذا اللّون، أو الأخذ من هذا الحقل أو الارتشاف من هذا المنبع، أو طرح سؤال هل هذا الكتاب جيّد وأين هو السّيء فيه؟ هذا فقط ما له صلة بالنّقد، أمّا الباقي فلا مدح فيه ولا عتاب للألوان المستعملة، ولكن انتقاد فقط لطريقة توظيفهم، ولرؤية الأشياء من زاوية أخرى، نقول لا يوجد شعر جيّد وآخر سيّء، وزد على ذلك كلّها تعتبر مواضيع، وكلّها مستقاة من الفنّ، وكلّ المواضيع المختارة لها الحقّ في أن تكون مواضيع شعريّة فنحن لا نبحث عن سبب اختيارك لهذا الموضوع، سواء كان حزينا، جنسيا، مخيفا، شيّقا، برّاقا، مظلما، غريبا، عاديا، بل نحن نبحث ونختبر كيفية عملك، وليس على ماذا ولماذا

ويعيدا عن هذا النّطاق، النّقد ليس له سبب يجب أن يذكر ولا حساب يقدّم من طرف الشّاعر، الفنّ ليس له حدود ولا قيود، فهو يقول استرسل ! ويتركك في هذا الحقل الواسع من الشعر، أين لا يوجد فاكهة ممنوعة، فكلّ المكان والزّمن للشّاعر، وبدلك يمكنه الوصول إلى أين يريد والقيام بما يريد، هذا هو تلقانون. أن يكون مؤمنا بالله أو بالآلهة، أن يؤمن ببلوتون أو بالشيطان، بكاندي أو بمرغتن، أو غير مؤمن إطلاقا، أن يدفع رسوم ستيكس أو أن يكتب في النّثر أو على الزّجاج، أن ينحت على الرّخام أو النّحاس، أن ينتمي لهذا الزّمن أو ذاك، أن يكون أصله من تلوسط أم الغرب أم الشّرق، أو أن يكون حداثي أو من طراز قديم أن يكون شعره شعرا أو خيالا، إنّه شيء رائع، الشّاعر حرّ لنضع نفسنا مكانه ونرى.

فالشّاعر يصرّ على هذه الأفكار، وهذا واضح، ذلك أنّ بعض المجادلين لم يتقبّلوها كما هي، فالشّاعر وإن كان يأخذ حيّز صغير في الأدب المعاصر، إلّا أنّه نال حظّه الوفير من النّقد السّاخر

ففي كثير من الأحيان، يقال كتاب سيّء لماذا كتبت هذا الكتاب، لماذا اخترت هذا الموضوع، ألا ترى أنّ الفكرة الأولى مرعبة خرقاء وسخيفة؟ وأنّ الموضوع متداخل إلى حدّ خروجه عن حدود الفنّ؟ أو ليس هذا جميل ليس شيّق لماذا لا تعالج مواضيع تعجبنا،تطابق آرائنا، ما هذه الثروة التي تملكها؟ إلخ...والشّاعر ماذا يجيب عادة: أنّ هذه الثّروات هي ثرواتي، وأنّه لا يعرف أين تنتهي حدود الفنّ، وأنّه لم ير خرائط لذلك في عالم المثقّفين، مع حدود الممكن أو غير الممكن مخطوطة بالأحمر والأزرق، وأنّه في الأخير أنّه قام بهذا من أجل أن يقوم بهذا.

فإذا طلب منه أحدهم لماذا هذه الشّرقيات ؟ الّتي منحته الغوص في الشّرق في كلّ هذا الفضاء من الشّعر النّقيّ الموجّه إلى عامّة النّاس الّتي كثرت اهتماماتها ومشاغلها، أين هي الفرصة إلى ماذا يرمز الشّرق، فسيجيب أنّه لا يعف شيأ، إنّها فقط فكرة خطرت بباله، بطريقة جدّ سخيفة، وذلك عند ذهابه لرؤية غروب الشّمس يأسف فقط لأنّ ديوانه لم يكن أفضل ممّا هو عليه، ولماذا لا يكون أدبا في مجمله، وبالأخصّ الدّيوان الشّعري، ذلك أنّه مثل شوارع إسبانيا القديمة أين تجدون كلّ شيء، كالمشي على ضفاف الأنهار وقرب أشجار البرتقال الأماكن المشمسة الخاصّة بالحفلات، الشّوارع الضيّقة، المتعرّجة، وفي بعض الأحيان مظلمة، أين يوجد منازل كثيرة ومختلفة الأشكال، وطويلة، وصغيرة، سوداء وبيضاء، ملوّنة، والعديد من المتاهات، القصور وبيوت العجزة، والأديرة والثّكنات، كلّها مختلفة، وكلّها مزخرفة، إضافة إلى سوق شعبيّ، وكذلك مقبرة، والمسرح هناك ببهرجته وجلبته، وهناك مشنقة دائمة بها حجر أكل عليه الدّهر وشرب وحديد متصدئ، مع بعض الهياكل العظيمة المتطايرة في الهواء، وفي الوسط يوجد الكندرالية القوطية، وعليها بعض الأسهم الحديدية المصقولة، ولها خمس أبواب مزركشة، وطنيف مثل القبّة، ولها أقواس تظهر وكأنّها غير متينة، ولها تجويفات عميقة، ومعابدها المتوهجة، ومجموعة القدسينو الصيادين، وأعمدتها المحزومة وورودها وقذائفها، ومشارطها،

ومذبحها المليء بالشّموع، إنّه مبنى خلاب يفرض وجوده، يدفع إلى الفضول بتقاسيمه، جميل جدا، أمّا في الطّرف الآخر المقابل أين توجد النّخيل يوجد مسجد شرقيّ بقبب من النّحاس، وأبواب ملوّنة وجدران برّاقة، وأقواس متقنة، ومذخنة موقدة ليل نهار، وآيات قرآنية على كلّ باب ومحابه الخلابة وفسيفساء الجدران المشعّة بأشعّة الشّمس كزهرة مليئة بالرّوائح الزكيّة

فمن الأكيد أنّ كاتب هذا الدّيوان ليس باستطاعته أن يقدّم تشبيها كاملا في كلّ كتبه على ما هو موجود فعلا كما تمناه هو، دون أن نجد فعلا وصفا دقيقا على ما تحدّث عليه في كتاباته على آثار وجدت من قبل، سواء بالنّسبة للكتدرالية القوطية، أو المسرح أو المشنقة السبعة، وإذا طلبنا منه أن يخبرنا ماذا أراد من خلال هذا سيجيب أنّه المسجد، وهو يقولها بكلّ ثقة.

فالنقّاد يقولون أنّه جريء وأحمق، لكي يتمنى أن يكون لفرنسا أدبا يمكننا تشبيهه بمدينة من القرون الوسطى، وهنا تكمن إحدى التخيلات الأكثر جنونا أين يمكن أن نغامر فيها أن تريد اللا ترتيب، والإسراف والغرابة، والذّوق السّيّء، إنّه أفضل بكثير ووجود عري جميل، أسوار كبيرة وبسيطة مع بعض الزّخارف المعتدلة من الذّوق الرّفيع، وكذلك الأفران وبعض المخطوطات، وقصر فيرساي، وساحة لويس 07، وشارع ريفولي والآن بإمكانك أن تحدّثني عن أدب جميل.

ولكن دعونا نقول، لنفكر في ذلك، إن كا ذلك الأمر يستحقّ فعلا التفكير، يمكن أن تجد الخيال قد أنتج هذه الشّرقيات أقلّ غرابة، نحن نهتمّ اليوم بذلك، والنتيجة الّتي وصلنا إليها لها عدّة أسباب الّتي أدّت بدورها إلى البحث أكثر في هذا المجال، تهتمّ أكثر فأكثر بالشّرق، بالدّراسات الشّرقية، الّتي لم يكن لها عندنا كلّ هذا الاهتمام من قبل.

ففي قرن لويس 07، كنا هيلينيين، والآن نحن شرقيون ليس هناك أي تبرير لم يهتم من قبل مثقفينا بهذه الهاوية.

فاليوم عندنا عالم حبيس اللّغة الشرقية من الصّين إلى غاية مصر، ونستنتج من كلّ هذا أنّ الشّرق سواء كصورة أو كفكر، سواء عقليّا أو خياليا، أصبح كنوع من الاهتمام، فكاتب هذا الدّيوان ربّما اتّبع الشّرقيات دون وعي منه فالألوان الشّرقية أخذت كلّ تفكيره، وكلّ أحلامه وذلك من دون قصد، عبرية كانت أم تركية، أم فارسيّة أم عربية أم إسبانية، بحيث أن إسبانيا هي كذلك من الشّرق، فإسبانيا تعتبر نصف إفريقية وإفريقيا تعتبر نصف آسوية، فهو بذلك ترك هذا الشّعر يأخذ له كلّ مأخذ، أكان حسنا أو سيئا قبله بكلّ فرح، علاوة على ذلك كان له دائما تعاطف مع الشّعر فبذلك نعذر لتخصيص هذا العنوان للعالم الشّرقي فقد كان يظهر له بريق لهذا الشّعر، فهو اعتبره منبع يروي عطشه، فهنا حسبه كلّ شيء عظيم كلّ شيء غني كلّ شيء خصب كالقرون الوسطى هذا البحر من الشّعر، وبما أنّه قال ذلك عابرا فلما لا يقوله مؤكّدا فهو يرى أنه يوجد كثير من العصر المعاصر في عصر لويس 07، والقدم في روما واليونان، فهل فعلا يمكننا رؤية العصر الحديث في القرون الوسطى والقدم في الشّرقيات بعد الدّراسة والتمحيص.

فالشيء نفسه بالنسبة للإمبراطوريات والأدب فمن قبل قد وجّه نداء إلى الشرق، فهنا التوازن الأوربي كاد أن يتزعزع، فالتمثال الأوربي تصدع وتكسّر من جهة القسنطينية، فكلّ القارّة مالت نحو الشّرق. سنرى أشياء عظيمة، البربرية الآسوية لم تكن تمتلك رجالا عاليين المقام كحضارتنا إذا أردتم تصديق ذلك، فحضارتنا إذا أردتم تصديق ذلك فحضارتنا هي من أنشأ أضخم تمثال لبونابرت، فهذا الرّجل العبقري التركي الجيري والمحبّ للحقيقة هذا العلي بانش الذي هو نابوليون الذي النّمر له أسد والنّسر له نسر جانفي1829م.

2- ترجمة المقدمةالثانية إلى اللغةالعربية مقدّمة فبراير 1829م:

هذا الدّيوان حصل على نجاح باهر الّذي يجعل من كاتبه طموحا أكثر في هذا الوقت من الأزمة والثورة الأدبية، وتعرّضه إلى معارضة قوية، وربّما تمنح له بعض الانتماءات وبعض التعاطف.

من دون شك، يمكن أن نتأسف على ذلك الوقت الأكثر تلاؤما، والأكثر اختلافا، الذي لم يحدث فيه لا حرب ولا إعصار حول عمل الكاتب المضني، حيث كان النّاس يسمعون له دون أن يقاطعوه، ولا يسمع ضوضاء أثناء قوله الشّعر، لكن اليوم الأمور لا تمشي كما كانت عليه من قبل، يا ليتها تعود كما كانت.

لكن بالرغم من ذلك، كلّ السّلبيات تحمل في طياتها إيجابيات، فمن يريد حرية في الفنّ لابدّ أن يتحمل أيضا حرّية الانتقاء، فالكاتب في عادته يمتنع عن إجابة النقّاد، ذلك حين يكون كتابه هو المعنى، وهذا لا يعني أنّ كلّ هذه الانتقادات ليست في محلّها، فبالنسبة له الموافقة للانتقادات أو الرّافضة له تأخذ فقط من وقته الثّمين، إلا أنّه يأسف على أولئك المراقبين الّذين لهم حسن النيّة، تصلهم معلومات وأفكار خاطئة عنه وبذلك يتعاملون معه على أساس من الفرضيات فقط، والمبنية على أساس تجريدي، على أساس أنّه شاعر خيالي وذو ثروة، ولكن أيضا ذو اعتقاد ونزاهة، حيث أصبح قلمه مبدأ يخدم فيه عقله بطريقة غريبة، ففي إحدى يديه لديه الكتابة وفي الأخرى، تقنيات الدّفاع عنها، وبعض النقّاد لم يكتفوا فقط بكتاباته بل ذهبوا أبعد من ذلك إلى شخصه، وحكموا عليه بالوقاحة والثّقة الزّائدة في النّفس، والتكبّر ووصفوه بأنّه مراهق كلويس السّابع، والسّماح لأنفسهم بالدّخول إلى الأسئلة المحجوبة والمثيرة.

وله الجرأة في قول أنّ من يراه هكذا فهو مخطئ، فهو لا يترك أي سراب حوله يدور، فهو يعرف جيّدا أن الضجيج الذي يقام حول كتبه ليست كتبه من يقوم به ولكن بكل بساطة إنها الأسئلة الأدبية واللّغوية هي التي يحكم عليها من خلال تفاعلها مع الموضوع، هذا الضجيج آت من الخارج وليس من الداخل، فهو المناسبة وليس السّبب، فالناس التي تهتم بهذه الأسئلة الفنّية والشّعرية، ظهر لهم أن يختاروا كتبه كحلبة لنقدها، ولكن ليس هنا ما يستحقونه فعلا فهذا لا يعطيهم سوى أهمية زائلة، فالمعروضة للنّاس غالبا ما تكسب بريقا يجعلها حلبة للصّراع أو ستيرليتز أو مارونغو، فهما اسمان كبيران وبلدتين صغيرتين.

فبراير 1829م.

1). سبب تأليف الدّيوان:

لقد ذكرنا آنفا أن هناك مجموعة من العوامل تفاعلت لتولد في ذهن "فيكتور هوجو" ومخيلته مشاعر الإعجاب والافتنان بذلك الشّرق الّذي سريعا ما تحوّل إلى مصدر إلهام له.عندما بلغ "فيكتور هوجو" العاشرة من عمره انتقل مع أسرته إلى إسبانيا التي ألحقها "نابوليون بونابرت" بالإمبراطورية الفرنسية، وقد كان والد "فيكتور هوجو" الجنرال "هوجو" حاكما عليها.

ورغم أنّ هذه الإقامة كانت قصيرة والتي لم تدم إلا سنة(1811م/1812م) إلّا أنّها سمحت للشّاعر برؤية واكتشاف بلد جديد تختلفتختلف أنماط حياته ومظاهر عمرانه عمّا تعوّد عليه في فرنسا، ومن هذا الاختلاف بدأت قصّة الافتتان بعالم الشّرق وتحديدا بإسبانيا وقصورها ومساجدها المزيّنة وأبوابها ونوافذها وجدرانها بالآيات القرآنية وبالنّقوش الزّخرفية العربية، وكلّ هذا كان مختلفا عن الكنائس والقصور التي تعوّد عليها الشّاعر.

2). الظروفالسياسيةالتيألففيهاالديوان:

وقدذكر "فيكتورهوجو" فيمقدمةهذاالديوانالباعثعلىتأليفهفقالبأنّالسببفينظمالديواتّجاهأنظارالأدباءنحوالشرقفقدكانوامنذ "لويسالرابععشر" لايبحثونإلافيآدابالليونانوالرّومانومعارفهم.وقدألّفهذاالديوانفيأثناءحربالمورةواستقلالاليونانوقدظهرتالثورةفيالمو رةسنة1821م،وانتقلتإلىبقيةالولاياتوالجزراليونانية[1].

وكانمنزعماءالثورةربّانسفينتهيونانيةيسمّىفناريهجمعلىالأسطولالعثمانيوأحرقبعضمراكبهفساقتالدولةالع ليةعلىاليونان "رشيدباشا" منالرومو"إبراهيمباشا" منمصر،وقدكانتالعساكرالمصريةمدرّبةفأخمدتثورتهاواستردّ "رشيدباشا" أثينا،ولمّارأىالافرنجانخمادالثورةاليونانيةبدأتالجرائدوالشعراءتهيجأفكارعامةالأوربيينعلىالعثمانيين،وتدخلتانكلتر اوروسياوفرنساوبعثواأساطيرهمفأحرقالأسطولالعثمانيفي20تشرينأول1827وسمّيتالحادثةبواقعةنافرين.

ولذلكاتجهشعراءالافرنجومنهم "فيكتورهوجو" إلىالتأليففيأمورالسياسية.

[1]- روحي الخالدي: تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوجو، ص212-213.

– تحليل المقدمة:

لقد تساءل "فيكتور هوجو" عن سبب اختياره لعنوان الشرقيات معترفا بأنه لا يملك جوابا واضحا «إذا ما سأل أحدهم الشّاعر عن جدوى "الشرقيات" والسبب الذي ألهمه هذه النزهة في الشرق على مدى ديوان شعري، والمغزى من هذا الكتاب العديم الفائدة من الشعر الخالص، الملقى وسط هموم القرّاء ومشاغلهم...، سوف يجيب بأنه لا يعرف، وبأنّ الفكرة خطرت بباله، وبصورة مضحكة الصيف الماضي حين كان يتأمل غروب الشّمس».

ثم يقترح "فيكتور هوجو" فكرة عبقرية قد تساعدنا اليوم على تأويل سلوك جيراننا (الخوف من الإسلام مثلا) وتقوم هذه الفكرة على أنّ الشّرق أضحى عنصرا بارزا في الهويّة الأوربية.

«لأنّ الشّرق يثير الاهتمام أكثر من أيّ وقت مضى، ولم تشهد الدّراسات الشّرقية هذا الانتشار قطّ من ذي قبل ففي لويس الرّابع عشر، كانت النّزعة هيللينية، أمّا اليوم فقد أصبحت النّزعة استشراقية، ولم يحدث أن سبرت كلّ هذه العقول...».

وينهي "فيكتور هوجو" هذه المقدمة بتوقّع رجّح فيه الفكرة لصالح الشّرق: «...ومن تمّ فالشّرق مدعوّ للاضطلاع بدور في الغرب على صعيد الفتوحات والآداب، وربّما في القريب العاجل...فها هو استقرار أوروبا يوشك أن يتزعزع، والمراوحة الأوروبية الّتي هي أصلا عفنة ومتشقّقة، تتصدّع من جهة القسطنطينية وكلّ القارّة تميل وترنو نحو الشّرق وسوف نشهد أمورا عظيمة».

المبحث الثاني: تحليل مبنى القصيدة.

1). دراسة العنوان:

إنّ عنوان الدّيوان (الشّرقيات) يحمل معان كثيرة وعميقة، فالعنوان بصفة عامة كما نعلم جميعنا هو: السّمة والعلامة والأثر يستدل به على الشّيء بوجه من وجوه التّعريض لا التّصريح [1].كما تعرف بـ: «مجموعة من العلاقات اللّسانية قد ترد طالع النصّ لتعيينه وتعلن عن فحواه وترغّب القراءة فيه» [2].

وقد احتل العنوان مكانة متميّزة في الأعمال الإبداعية الأدبية والدّراسات النقدية المعاصرة، وذلك لموقعه الاستراتيجي في كونه مدخلا أساسيا لقراءة العمل الأدبي [3].

والعنوان في أيّ نصّ أدبي لا يأتي اعتباطيا، فالمبدع يهتمّ بالعنوان كاهتمامه بالعمل الأدبي: «بل ربما كانت عنونة العمل أكثر مما تظن إشكالا، فمقاصد المرسل منها تختلف جذريا عن مقاصده من عمله، وتنازعهما عوامل أدبية، وأخرى ذرائعية برجماتية، ربما أضفنا العامل الاقتصادي (التسويقي) إلى هذين النوعين من العوامل» [4].

لذلك فالدّوافع التي ذكرناها سابقا توضّح لنا لماذا سمّي شاعرنا ديوانه بعنوان (الشرقيات) فقد أعجب "فيكتور هوجو" بإسبانيا تلك المدينة التي تختلف تماما عما ألفه شاعرنا في فرنسا كما رسمت تلك القصص التي قرأها في إسبانيا في مخيلة صورة خيالية خصبة أطلقت العنان لقلمه أن يخطّ اروع ما جادت به قريحته وهذا ما تمثّل في ديوان أسماه (الشّرقيات).

1- محمد رشد: مدخل نظري لدراسة العنوان، مجلة ديوان العرب، الثلاثاء 11 فبراير 2014م.

2- محمد رشد: المرجع نفسه.

3- مسكين حسنة، داود محمد، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر (شهادة دكتوراه)، جامعة وهران.2013/2014م.

4- الجزار محمد فكري: العنوانوسيميوطيقاالاتصالالأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1998، ص07.

2). سبب تأليف الديوان:

ومن بين الدّوافع المهمّة التي جعلت "فيكتور هوجو" يعجب بالشّرق وبمعالمه هو تعرّفه على فتاة إسبانية تكبره، ببضع سنوات، وهي أول تجربة حب مرّ بها شاعرنا وفي ذلك يقول الشّاعر:

في إسبانيا هذه التي أحببت.

مطلع كلّ يوم وكلّ ربيع.

قالت لي بيبا أنا ابن الثّامنة يا فتى.

اسمي بيبا ووالدي من سراة القوم هنا.

En Espagne celle que j'ai aimé
Le commencement de chaque jour et de chaque printemps
Elle m'a dit Biba je suis la fille de huit ans, O garçon
Je m'appelle Biba, et mon père est de Saraya

لحظتها شعرت بأني رجل يعيش في بلد مختلّ وتراوده أحلام مختلطة بحالة الحرب [1].

وهذا يعود بنا إلى حضارة العرب في الأندلس وميلها الشديد إلى العناية بالآداب والفنون فأنشأوا المدارس والمكتبات في كل ناحية كما ترجموا الكتب المختلفة كما برعوا في الزراعة، وأدخلوا إلى حقول الأندلس زراعة قصب السكّر والأرز والقطن والموز. وأكثروا من إنشاء الطرق والجسور والمساجد في كل مكان [2].

كذلك من بين التجارب التي دفعت "فيكتور هوجو" إلى الإعجاب بالشرق هي قراءته خلال تلك الرحلة نسخة من "ألف ليلة وليلة"، فحكاياتها العجيبة أيقظت مخيلة الطفل وأطلقت العنان

1- معجب بن سعيد الزهراني: الشّرق والشّرقيون في ديوان فيكتور هوجو.

2- غوستاف لوبون ،حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، ط.د، 2012.

لخياله اتجاه تلك الفضاءات الشرقية البعيدة التي تتراءى صورها الفنية تارة في الحكايات وتارة أخرى في المدن الإسبانية الحافلة بآثار الشرق الحية.

فقد ترجمت "ألف ليلة وليلة" إلى مختلف اللّغات الأوربية، وعدّ هذا الحدث من بين أكبر الأحداث الثقافية في الغرب، وقد شهد العديد من الباحثين أن تلك الحكايات قد أدهشت القراء الأوربيين بصورها ومضامينها، كما ساعدهم على اختراق عالم الشرق الساحر [1].

وقد ظهر في الأدب الفرنسي العديد من القصص التي تأثرت بأسلوب "ألف ليلة وليلة" وأجوائه من أمثال "تبوخل قويتي" وذلك في أربع من مؤلفاته هي:

- غذاء في صحراء مصرNourriture dans le Désert d'Egypte.
- ليلة من ليالي كليوباتراNuit des Nuits de Cléopâtre.
- قدم المومياءPied du Momie.
- الليلة الثالثة بعد الألفLa Troisième Nuit Après Le Mille.

كما ظهر تأثير "ألف ليلة وليلة" في كتابات "فولتير" "Voltair" والذي كتب 49 كتابا اتسم بالطابع الشرقي [2].

1- شريقي عبد الواحد: ألف ليلة وليلة في الغرب، منتدى ستار تايمز، 02:21، 2008/09/11.

2-ياسر الدّوسري: أثر كتاب ألف ليلة وليلة على السّرد الفرنسي، 03:54، 2010/01/22.

– نظريا:

يقع الديوان في 156 صفحة من الحجم المتوسط وهو يضم واحد وأربعون قصيدة:

1/ نار السماء	Le feu du ciel
2/ الكناري	Le canaris
3/ رؤوس الحريم	Les têtes du sérails
4/ الحماسة	L’enthousiasme
5/ نافارا	Navarin
6/ صرخة حرب المفتي	Cri de guerre du mufti
7/ ألم الباشا	Les douleurs du Pacha
8/ أغنية القراصنة	Chanson de Pirates
9/ الأسير	La captive
10/ ضوء القمر	Clair de lune
11/ الحجاب	Le voile
12/ السلطانة المفضلة	La sulatne favorite
13/ الدرويش	Le derviche
14/ القلعة	Le château fort
15/ المشية التركية	La marche turque
16/ الحرب الخاسرة	La bataille perdu
17/ الطفل	L'enfant

18/ سارة التي تستحم	Sara la baigneuse
19/ الانتظار	L’attente
20/ لازارا	Lazzara
21/ الأمنية	Le voeur
22/ المدينة المستعمرة	La ville prise
23/ وداع المضيفة العربية	A dieux de l'hôtesse arabe
24/ اللعنة	La malédiction
25/ أقسام الثعبان	Les tronçons du serpent
26/ نور محل لاروس	Nourmahal la rousse
27/ الجن	Les djinns
28/ السلطانة حشمت	Sultan achmet
29/ الرومنسية الربربة	La romance mauresque
30/ غرناطة	Grenade
31/ العنب البري	Les bleuets
32/ الأشباح	Les fantômes
33/ مازيبا	Mazeppa
34/ نهر الدانوب الغاضب	Le panube en colère
35/ أحلام اليقظة	Rêverie
36/ النشوة	L’extase

37/ شاعر الخليفة Le poète du calife

38/ السلطان بونابردي Bounaberdi

39/ هو Lui

40/ نوفمبر Novembre

لقد صدر الديوان في طبعة أنيقة وتتراوح هذه القصائد بين الطول والقصر، وقد ضم قصائد عديدة ومتنوعة في موضوعاتها: العاطفية الحزينة وهذه القصائد لا تستعصي على الفهم والإدراك وهي تكشف في الوقت نفسه رؤية الشاعر إلى نفسه وإلى مواقفه من الكون والحياة والحب والمرأة...غير أن الرؤية المتأنية في هذا الديوان تتألف من بعدين أساسيين هما: البعد الوطني والبعد العاطفي وهما يمتزجان امتزاجا عضويا بارعا الأمر الذي ضمن للديوان درجة عالية من النضج والعمق والتكامل.والقراءة المتأنية للديوان تكشف عن بعض السمات الغالبة على القصائد:

1- تنوع القافية:

القافية في الشعر العربي ركن من أركان الإيقاع الخارجي، وهي تأتي على وتيرة واحدة من بداية القصيدة إلى نهايتها، لتتم بها وحدة القصيدة [1] وهيمصطلح يدل على الحرف الأخير من البيت.وقد عرفها الخليل بـ «آخر ساكنين في البيت وما بينهما والمتحرك قبل أولهما».

1- صلاح يوسف عبد القادر، في العروض والإيقاع الشعري، دراسة تحليلية تطبيقية، الجزائر، شركة الأيام للطباعة المحمدية، ط01، 1997، ص80.

أما القافية عند الأخفس فهي: «آخر كلمة في البيت»[1]. ولها أهمية بالغة في قيام موسيقى القصيدة «فالشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء هي اللفظ والوزن والمعنى والقافية» [2].

أما القافية في اللّغة الفرنسية فهي أنواع[3]:

1). القوافي المسطحة أو المتبعةLes rimes plates ou suivies

Dans la plaine les baladins

S’éloignent au long des jardins

Devant l’huis des auberges grises

Par les villages sans églises.

في السهل على بلدين

المشي بعيدا عن طول الحدائق

أمام النّزل الرّماديّة

من قبل قرى دون كنائس.

2). القوافي المتقاطعةLes rimes croisées:

Quand le ciel bas et lourd pèse comme un couvercle

Sur l'esprit gémissant en proie aux longs ennuis,

Et que de l'horizon embrassant tout le cercle

Il nous verse un jour noir plus triste que les nuits;

عندما تعلو السماء المنخفضة الثّقيلة مثل غطاء

[1]-مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب، بيروت، مكتبة لبنان، ط02، 1984، ص282.

[2]- ابن رشق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ط، 1963م، ص119.

[3]- http://www.bacdefrançais.net/rime.php

على روح يئنّ في قبضة مشكلة طويلة

وهذا من الأفق يعانق الدّائرة بأكملها

يصبّ علينا يوما أسود أكثر حزنا من اللّيالي.

3). القافية المتقاربة Les rimes embrassées:

Je m’en allais, les poings dans mes poches crevées;

Mon paletot aussi devenait idéal;

J’allais sous le ciel, Muse ! et j’étais ton féal;

Oh ! là ! là ! que d’amours splendides j’ai rêvées!

ذهبت بعيدا، قبضات يدي في الجيوب المثقوبة

معطفي أصبح فجأة مثاليا

كنت ذاهبا تحت السّماء موس، وكان لي طعامك

أوه !بلدي ما الرائّع أحلم به !

4). القافية المذكّر والقافية المؤنّثة Les rimes masculines/féminines:

تنتهي القافية المؤنّثة بـ "e" صامت، وقد كان التّناوب بين القوافي حتّى القرن العشرين، حيث لم يعد أراغون (Aragon) وأبولينير (Apollinaire).

يقول فيكتور هوجو:

J'errai, je parcourus la terre avant la vie ;

Et, tout enfant encor, les vielliards recueillis

M'écoutaient racontant, d'une bouche ravie,

Mes jours si peu nombreux et déjà si remplis !

وقد لجأ "فيكتور هوجو" إلى تنويع القوافي في ديوانه الشرقيات وذلك للتحرر من قيود القافية التي فرضها القدامى، وهذا ما يظهر جليا في القصائد التالية:

LE RAVIN

Un ravin de ces monts coupe la noire crête ;

Comme si, voyageant du Caucase au Cédar,

Quelqu'un de ces Titans' que nul rempart n'arrête

Avait fait passer sur la tête

La roue immense de son char.

Hélas ! combien de fois, dans nos temps de discorde,

Des flots de sang chrétien et de sang mécréant,

Baignant le cimeterre et la miséricorde,

Ont changé tout à coup en torrent qui déborde

Cette ornière d'un char géant ![(1)].

[1]- Victor Hugo: les orientales, p81.

NOURMAHAL LA ROUSSE

Entre deux rocs d'un noir d'ébène

Voyez-vous ce sombre hallier

Qui se hérisse dans la plaine

Ainsi qu'une touffe de laine

Entre les cornes du bélier ?

Là, dans une ombre non frayée,

Grondent le tigre ensanglanté,

La lionne, mère effrayée,

Le chacal, l'hyène rayée,

Et le léopard tacheté.

Là, des monstres de toute forme

Rampent : - le basilic rêvant,

L'hippopotame au ventre énorme,

Et le boa, vaste et difforme,

Qui semble un tronc d'arbre vivant.

L'orfraie aux paupières vermeilles,

Le serpent, le singe méchant,

Sifflent comme un essaim d'abeilles ;

L'éléphant aux larges oreilles

Casse les bambous en marchant.

Là, vit la sauvage famille

Qui glapit, bourdonne et mugit.

Le bois entier hurle et fourmille.

Sous chaque buisson un oeil brille,

Dans chaque antre une voix rugit.

Eh bien ! seul et nu sur la mousse,

Dans ce bois-là je serais mieux

Que devant Nourmahal-la-Rousse,

Qui parle avec une voix douce

Et regarde avec de doux yeux[1].

* **التكرار**:

التكرار كما جاء في معجم المصطلحات العربية: «الاتيان بعناصر مماثلة في مواضيع مختلفة من العمل الفنّي، وهو أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجده في الموسيقى...وهو أساس لنظرية القافية في الشعر» [2].

والتكرار من أهم الأشكال التعبيرية في بنية القصيدة المعاصرة فهي تعتمد عليه بشكل يجذب القارئ، وقد نوه القدماء عن دوره في اتخاذ وارتباط أجزاء الكلام، زد على ذلك تقوية المعنى وتوكيد هو تفصيله،وقد برز التكرار بشكل ملحوظ في النصوص التشريعية في العصر الحديث[3].

[1]- Victor Hugo: les orientales, p81.

[2]- مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب، بيروت، مكتبة لبنان، ط02، ص117-118.

[3]- علي بوعلام: جماليات التكرار وآلياته في التماسك النصي (قصيدة مديح الظل اعالي للشاعر محمود درويش أنموذجا)، شهادة ماجستير، جامعة وهران، كلية الآداب والفنون، 1437هـ-1438هـ/2016م-2017م، ص91.

وقد وصف المحدثون التكرار بشكل جميل يعبر عن قدرتهم الشعريه الفائقه.

فالسيا بمثلا استطاع أن يحمل الاسماء طاقات شعورية ودلالية ورمزية، في كفي الوقوف على قصيدته انشودة المطر لنر تكرار كلمة (مطر مطر مطر) فالمطر عند السياب رمز لغوي معبر عن الخصوبة والنمو والعطاء، وهو بهذا التكرار يحاول أن يحمل المطرد لا لشعورية مقدسة تجلب التفاؤل بالخير و تكرار كلمة مطر يحاكي وقع قطرات المطر المتساقطة على الأرض[1].

القراءة المتأنية للديوان (الشرقيات) نجد أن "فيكتور هوجو" استعمل هذه السمة البلاغية وذلك للتأكيد على فكرت هو لاستمالة المخاطب وذلك في أكثر من قصيدة.

3). خصائص الشعر عند فيكتور هوجو:

قلنا سابقا بأنّ فيكتور هوجو شاعر رومنسي، وقد تميّز الشعر الرّومنسي بالخصائص الآتية:

* التحرّر من الوزن والقافية.

* الهروب من الواقع المرير إلى عالم الخيال، وذلك من خلال الإفراط في استخدام الخيال، والتصوّرات الإبداعية أو الخيالية.

* اللّجوء إلى الرّمز الجديد الموحي في التّعبير عن الشّعر الرّومنسي، حيث يتميّز بإيجاز المعاني المتعدّدة، دون الحاجة إلى تفصيل.

* الصّدق في التّعبير، إذ يعبّر عن العواطف الفرديّة، كما يعبّر عن المشاعر العميقة الّتي تختبئ في أعماق النّفس.

1- الكبيسي عمران، خضير حميد، لغة الشعر العراقي المعاصر، بيروت، لبنان، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، د.ط، 1982م، ص152.

* يغلب على هذا الشّعر الولوج إلى أحضان الطّبيعة، واستشعار مظاهرها وجمالها وبيئتها في الأشعار والوصول إلى فلسفة طبيعية قائمة على ثنائية (الأسنان والطبيعة) [1].

ويمكن أن نجمل خصائص فيكتور هوجو الشعرية فيما يلي:

1- نظم الشّعر:

ونظم الشعر فيه:

* أبيات (des veres).

* قوافي (des rimes).

* مقاطع أو موشّحات (les strophs).

* مقاطع الكلمات (les syllabes).

* لفظ من الشعر (Octosyllabes).

وهذا يكون عندما نجد Syllabes أكثر من ثماني مقاطع.

* التّقطيع أو البنات الشّعرية (lesdiérese): ونعني بها تقطيع الكلمة بين شطرين.

* الرّيتم أو الموسيقى الشّعرية الّذي يظهر في كلمات شعره.

2- الموضوعات الشّعرية: أي السجلّ الشّعري.

3- الحقل الدّلالي (champlexicale): وهو الحقل الدّلالي المستعمل في قصيدة ما كحقل الحرب، وحقل الحزن، وحقل الأمل...

[1]- كريم أحمد: مقال (الشعر الرومانسي)، 13 مايو 2018، 14-15.

4- النّوازف أو السّتات: وهي أن يتكوّن المقطع (Sizain) من ستّة أبيات مثلا في قصيدة (Rêverie) نجد ستّة أبيات في كلّ مقطع.

يقول فيكتور هوجو في قصيدة بعنوان: Rêverie[1]

Oh ! laissez-moi ! c'est l'heure où l'horizon qui fume
Cache un front inégal sous un cercle de brume,
L'heure où l'astre géant rougit et disparaît.
Le grand bois jaunissant dore seul la colline.
On dirait qu'en ces jours où l'automne décline,
Le soleil et la pluie ont rouillé la forêt.

Oh ! qui fera surgir soudain, qui fera naître,
Là-bas, - tandis que seul je rêve à la fenêtre
Et que l'ombre s'amasse au fond du corridor, -
Quelque ville mauresque, éclatante, inouïe,
Qui, comme la fusée en gerbe épanouie,
Déchire ce brouillard avec ses flèches d'or !

Qu'elle vienne inspirer, ranimer, ô génies,
Mes chansons, comme un ciel d'automne rembrunies,
Et jeter dans mes yeux son magique reflet,
Et longtemps, s'éteignant en rumeurs étouffées,

[1]- hhtp://poesie.webnet.fr

Avec les mille tours de ses palais de fées,

Brumeuse, denteler l'horizon violet !

Septembre 1828

- ترجمة القصيدة إلى اللّغة العربيّة:

حلم اليقظة

أوه؟ أتركوني؟ إنّه وقت دخّان الأفق

اختفاء الجبهة غير السرّية تحت حلقة من الضّباب

إنّه الوقت الّذي يختفي فيه النّجم الأحمر العظيم

والخشب الكبير المصفرّ الّذي يزيّن التلّ وحده

كأنّه في هذه الأيّام يأتي الخريف

الشّمس والسّماء أفسدوا الغابة

أوه؟ إنّ الّذي سيظهر فجأة الّذي سيولد

هناك؟ على الرّغم من أنّي أحلم وحدي عند النّافذة

أين الظلّ يجتمع في آخر الممرّ

بعض المدن المغاربية، مشعة، لم يسمع بها من قبل

مثل صاروخ مجتمعة مزدهرة

تمزّق هذا الضّباب بأسهمها الذّهبية

تأتي لإلهام وإحياء العباقرة

أغنياتي مثل سماء الخريف الدّاكن

توجّه انعكاسها السّحري نحو عيني

وببطئ، تنطفئ بإشاعات مكتومة

آلاف أبراج قصورها خيالية

الشاعر يصف في هذه القصيدة يوما من الخريف وهو يرى الشّمس تحت مطر الخريف، وعندما كان ينظر من النّافذة لهذا المنظر، سبح بخياله بعيدا وتخيّل انطلاقا من ذلك المنظر مناطق أخرى.

وفي هذه القصيدة يوجد رغبة رهيبة في بقاء الشّاعر وحيدا، وهي سمة من سمات الرّومنسية ويظهر ذلك في بداية الفقرة الأولى: Oh laissez-moi

وكلمة Seul في البيت الثّامن تؤكّد على الوحدة التي يعيشها الشّاعر. والخريف عادة ما يستعمله الشّعراء للتّعبير عن الحزن، وفي القصيدة يوجد الكثير من الكلمات الّتي تدلّ على الصّفات (lescaractères) السّحرية مثل: geni أو palais de fée، وتكرار كلمة brouillard، brumes، تدلّ على مستقبل غامض للشّاعر، ولكن في نهاية القصيدة نلاحظ أنّ فيكتور هوجو يأمل بمستقبل زاهر.

* أمّا إذا كان المقطع يتكوّن من بيتين يسمّى: Distique.

وإذا تكوّن من ثلاثة أبيات يسمّى: Tercet.

وإذا تكوّن من أربع أبيات يسمّى: Quatrain.

وإذا تكون من خمسة أبيات يسمّى: Quintile.

سوف نحاول إسقاط هذه الخصائص الشّعرية على قصيدة من قصائد ديوان الشّرقيات:

يدور موضوع قصيدة "نار السّماء"، (Le feu du ciel) حول هلاك قريتين فاسدتين بتدخّل إلاهي ويصف فيها الانحلال الخلقي في عدّة مقاطع مستعملا كلمات كـ:

Brune des nuits

L'ombre baignait leur tours

Dans les cieux avec leur larges ombres

كما يظهر أيضا في النصّ حضور الوثنية والتي تعني غياب الإله.

يقول"فيكتورهوجو"فيقصيدة[1]:

LE FEU DU CIEL

La voyez-vous passer, la nuée au flanc noir ? ← **يسمى بيتا** (ver) — → **تسمى قافية** (rime)

Tantôt pâle, tantôt rouge et splendide à voir,

Morne comme un été stérile ?

On croit voir à la fois, sur le vent de la nuit,

Fuir toute la fumée ardente et tout le bruit

De l'embrasement d'une ville.

D'où vient-elle ? des cieux, de la mer ou des monts ?

Est-ce le char de feu qui porte des démons

À quelque planète prochaine ?

Ô terreur ! de son sein, chaos mystérieux,

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:10.

D'où vient que par moments un éclair furieux

Comme un long serpent se déchaîne ?

I-موضوع الفقرة الأولى وصف نزول سحابة من النّار ذات الدّخان الكثيف وتساؤل من أين جاءت هذه السّحابة.

II

يسمى مقطع أو موشح (stroph)

La mer ! partout la mer ! des flots, des flots encor.

L'oiseau fatigue en vain son inégal essor.

Ici les flots, là-bas les ondes ;

Toujours des flots sans fin par des flots repoussés ;

L'oeil ne voit que des flots dans l'abîme entassés

Rouler sous les vagues profondes.

Parfois de grands poissons, à fleur d'eau voyageant,

Font reluire au soleil leurs nageoires d'argent,

Ou l'azur de leurs larges queues.

La mer semble un troupeau secouant sa toison

Mais un cercle d'airain ferme au loin l'horizon ;

Le ciel bleu se mêle aux eaux bleues.

- Faut-il sécher ces mers ? dit le nuage en feu.

يسمى (distique) عندما يتكون المقطع من بيتين

- Non ! - Il reprit son vol sous le souffle de Dieu.

II- يصف الشّاعر في الفقرة الثّانية الأهوال الّتي تسبّبت فيها النّار واختلاط المياه والبحار بالأراضي. وفي آخر الفقرة تتساءل سحابة هل يجب أن نخفّف هذه البحار، والرّدّ يكون بلا تحت أنفاس الله.

III

Un golfe aux vertes collines

Se mirant dans le flot clair !

- Des buffles, des javelines,

Et des chants joyeux dans l'air !

- C'était la tente et la crèche,

La tribu qui chasse et pêche,

Qui vit libre, et dont la flèche

Jouterait avec l'éclair.

Pour ces errantes familles

Jamais l'air ne se corrompt.

Les enfants, les jeunes filles,

Les guerriers dansaient en rond,

Autour d'un feu sur la grève

Que le vent courbe et relève,

Pareils aux esprits qu'en rêve

On voit tourner sur son front.

Les vierges aux seins d'ébène,

Belles comme les beaux soirs,

Riaient de se voir à peine

Dans le cuivre des miroirs ;

D'autres, joyeuses comme elles,

Faisaient jaillir des mamelles

De leurs dociles chamelles

Un lait blanc sous leurs doigts noirs.

Les hommes, les femmes nues,

Se baignaient au gouffre amer.

- Ces peuplades inconnues,

Où passaient-elles hier ?

- La voix grêle des cymbales,

Qui fait hennir les cavales,

Se mêlait par intervalles

Aux bruits de la grande mer.

La nuée un moment hésita dans l'espace.

- Est-ce là ? - Nul ne sait qui lui répondit : - Passe !

(distique)

III- موضوع الفقرة الثالثة وصف التلال الخضراء والأغاني السّعيدة والعائلات المتجولة والأطفال والفتيات والرّقص، ورجال ونساء عاريات يستحمّون، من تمّ يتساءل الشّاعر أين ذهب هؤلاء، تتساءل سحابة النّار مرّة أخرى في آخر هذه الفقرة هل يجب أن أقف هنا ليأتي صوت ويقول لها أكملي طريقك.

IV

يسمى المقطع المكون من ستة أبيات نازفة (sizain)

L'Égypte ! - Elle étalait, toute blonde d'épis,

Ses champs, bariolés comme un riche tapis,

Plaines que des plaines prolongent ;

L'eau vaste et froide au nord, au sud le sable ardent

Se disputent l'Égypte : elle rit cependant

Entre ces deux mers qui la rongent.

Trois monts bâtis par l'homme au loin perçaient les cieux

D'un triple angle de marbre, et dérobaient aux yeux

Leurs bases de cendre inondées ;

Et, de leur faite aigu jusqu'aux sables dorés,

Allaient s'élargissant leurs monstrueux degrés,

Faits pour des pas de six coudées.

المقطع المكون من ثلاثة أبيات يسمى (tercet)

Un sphinx de granit rose, un dieu de marbre verts,

Les gardaient, sans qu'il fût vent de flamme au désert

Qui leur fît baisser la paupière.

Dix vaisseaux au flanc large entraient dans un grand port.

Une ville géante, assise sur le bord,

Baignait dans l'eau ses pieds de pierre.

نازفة (sizain)

On entendait mugir le semoun meurtrier,

Et sur les cailloux blancs les écailles crier

Sous le ventre des crocodiles.

Les obélisques gris s'élançaient d'un seul jet.

Comme une peau de tigre, au couchant s'allongeait

Le Nil jaune, tacheté d'îles.

L'astre-roi s se couchait. Calme, à l'abri du vent,

La mer réfléchissait ce globe d'or vivant,

Ce monde, âme et flambeau du nôtre ;

Et dans le ciel rougeâtre et dans les flots vermeils,

Comme deux rois amis, on voyait deux soleils

- Où faut-il s'arrêter ? dit la nuée encor.

- Cherche ! dit une voix dont trembla le Thabor.

IV- أما في الفقرة الرابعة فيصف جمال مصر وآثارها ورخاءها وجوّها المرح وصحراءها الشّاسعة ورمالها الذّهبية، وتتساءل سحابة أخرى أين يجب أن أتوقف، ليأتي صوت يأمرها بالبحث.

V

Du sable, puis du sable !

Le désert ! noir chaos

Toujours inépuisable

En monstres, en fléaux !

Ici rien ne s'arrête.

Ces monts à jaune crête,

Quand souffle la tempête,

Roulent comme des flots !

Parfois, de bruits profanes

Troublant ce lieu sacré,

Passent les caravanes

D'Ophir ou de Membré.

L'oeil de loin suit leur foule

Qui sur l'ardente houle

Ondule et se déroule

Comme un serpent marbré.

Ces solitudes mornes,

Ces déserts sont à Dieu ;

Lui seul en sait les bornes,

En marque le milieu.

Toujours plane une brume

Sur cette mer qui fume

Et jette pour écume

Une cendre de feu.

- Faut-il changer en lac ce désert ? dit la nue.

- Plus loin ! dit l'autre voix du fond des cieux venue.

(distique)

V- يصف الشاعر في الفقرة الخامسة الصّحراء وشساعتها وخلاءها وهولها ثم تتساءل سحابة النار مرة أخرى إذا كان بإمكانها تغيير هذه الصّحراء إلى ماء ليردّ صوت من أعماق السّماء: لا المكان لازال بعيدا.

VI

Comme un énorme écueil sur les vagues dressé,

Comme un amas de tours, vaste et bouleversé,

Voici Babel déserte et sombre.

Du néant des mortels prodigieux témoin,

Aux rayons de la lune, elle couvrait au loin

Quatre montagnes de son ombre.

L'édifice écroulé plongeait aux cieux profonds.

Les ouragans captifs sous ses larges plafonds

Jetaient une étrange harmonie.

Le genre humain jadis bourdonnait à l'entour,

Et sur le globe entier Babel devait un jour

Asseoir sa spirale infinie.

Ses escaliers devaient monter jusqu'au zénith.

Chacun des plus grands monts à ses flancs de granit

N'avait pu fournir qu'une dalle ;

Et des sommets nouveaux d'autres sommets chargés

Sans cesse surgissaient aux yeux découragés

Sur sa tête pyramidale.

Les boas monstrueux, les crocodiles verts,

Moindres que des lézards sur ses murs entr'ouverts,

Glissaient parmi les blocs superbes ;

Et, colosses perdus dans ses larges contours,

Les palmiers chevelus, pendant au front des tours,

Semblaient d'en bas des touffes d'herbes.

Des éléphants passaient aux fentes de ses murs ;

Une forêt croissait sous ses piliers obscurs

Multipliés par la démence ;

Des essaims d'aigles roux et de vautours géants

Jour et nuit tournoyaient à ses porches béants,

Comme autour d'une ruche immense.

قافية متقاطعة
(rimes croises)

- Faut-il l'achever ? dit la nuée en courroux.

- Marche ! - Seigneur, dit-elle, où donc m'emportez-vous ?

(distique)

VI- موضوع الفقرة السادسة وصف مدينة بابل بالمهجورة والمظلمة والتي أصبحت مسكنا للحيوانات. وهنا في آخر الفقرة تتساءل سحابة النار هل يجب أن ننهي هذه المدينة ليأتي صوت ويأمرها بالمضيّ قدما.

VII

Voilà que deux cités, étranges, inconnues,
Et d'étage en étage escaladant les nues,
Apparaissaient, dormant dans la brume des nuits,
Avec leurs dieux, leur peuple, et leurs chars, et leurs bruits.
Dans le même vallon c'étaient deux sueurs couchées.
L'ombre baignait leurs tours par la lune ébauchées ;
Puis l'oeil entrevoyait, dans le chaos confus,

قافية مسطحة (suivi)

Aqueducs, escaliers, piliers aux larges fûts,
Chapiteaux évasés ; puis un groupe difforme
D'éléphants de granit portant un dôme énorme ;
Des colosses debout, regardant autour d'eux
Ramper des monstres nés d'accouplements hideux ;
Des jardins suspendus, pleins de fleurs et d'arcades
Et d'arbres noirs penchés sur de vastes cascades ;

Des temples, où siégeaient sur de riches carreaux

Cent idoles de jaspe à têtes de taureaux ;

Des plafonds d'un seul bloc couvrant de vastes salles,

Où, sans jamais lever leurs têtes colossales,

Veillaient, assis en cercle, et se regardant tous,

Des dieux d'airain, posant leurs mains sur leurs genoux.

Ces rampes, ces palais, ces sombres avenues

Où partout surgissaient des formes inconnues,

Ces ponts, ces aqueducs, ces arcs, ces rondes tours,

Effrayaient l'oeil perdu dans leurs profonds détours ;

On voyait dans les cieux, avec leurs larges ombres,

Monter comme des caps ces édifices sombres,

Immense entassement de ténèbres voilé !

Le ciel à l'horizon scintillait étoilé,

Et, sous les mille arceaux du vaste promontoire,

Brillait comme à travers une dentelle noire.

Ah ! villes de l'enfer, folles dans leurs désirs !

Là, chaque heure inventait de monstrueux plaisirs, (quatrain)

Chaque toit recélait quelque mystère immonde,

Et, comme un double ulcère, elles souillaient le monde.

Tout dormait cependant ; au front des deux cités,

À peine encor glissaient quelques pâles clartés,

Lampes de la débauche, en naissant disparues,

(Tercet)

Derniers feux des festins oubliés dans les rues.

De grands angles de mur, par la lune blanchis,

Coupaient l'ombre, ou tremblaient dans une eau réfléchis.

Peut-être on entendait vaguement dans les plaines

قافية متبعة

((rimes) **suivies**

S'étouffer des baisers, se mêler des haleines,

Et les deux villes sueurs, lasses des feux du jour,

Murmurer mollement d'une étreinte d'amour ;

Et le vent, soupirant sous le frais sycomore,

Allait tout parfumé de Sodome à Gomorrhe.

(distique)

C'est alors que passa le nuage noirci,

Et que la voix d'en haut lui cria : - C'est ici !

VII- يصف الشاعر في هذه الفقرة مدينتين مجهولتين وحدائقهما وورودهما، كما يتحدّث عن شعبيها المعروفين بالجنون واللّهو والاختلاط، وكثرة الآلهة الّتي يعبدونها وانتشار الأصنام ووصفها بمدن الجحيم ومنازلها بالفجور. وهنا تمرّ السّحابة السّوداء، والصّوت الآتي من أعالي السّماء يصيح: هنا !!

VIII

La nuée éclate !
La flamme écarlate
Déchire ses flancs,
L'ouvre comme un gouffre,
Tombe en flots de soufre
Aux palais croulants,
Et jette, tremblante,
Sa lueur sanglante
Sur leurs frontons blancs !

(distique)

Gomorrhe ! Sodome !
De quel brûlant dôme
Vos murs sont couverts !
L'ardente nuée
Sur vous s'est ruée,

قافية متقاطعة
(rimes croisées)

Ô peuple pervers !

قافية متقاطعة

Et ses larges gueules } (rimes croisées)

Sur vos têtes seules }

Soufflent leurs éclairs !

Ce peuple s'éveille,

Qui dormait la veille

Sans penser à Dieu.

Les grands palais croulent.

Mille chars qui roulent

Heurtent leur essieu ;

Et la foule accrue

Trouve en chaque rue

Un fleuve de feu.

Sur ces tours altières,

Colosses de pierres

Trop mal affermis,

Abondent dans l'ombre

Des mourants sans nombre

Encore endormis.

Sur des murs qui pendent

Ainsi se répandent

De noires fourmis !

Se peut-il qu'on fuie

Sous l'horrible pluie ?

Tout périt, hélas !

Le feu qui foudroie

Bat les ponts qu'il broie,

Crève les toits plats,

Roule, tombe, et brise

قافية متقاطعة
(rimes croisées)

Sur la dalle grise

Ses rouges éclats !

Sous chaque étincelle

Grossit et ruisselle

Le feu souverain.

Vermeil et limpide,

Il court plus rapide

قافية متقاطعة
(rimes croisées)

Qu'un cheval sans frein ;

Et l'idole infâme,

Croulant dans la flamme,

Tord ses bras d'airain !

(distique)

Il gronde, il ondule,

Du peuple incrédule

Rompt les tours d'argent ;

Son flot vert et rose,

Que le soufre arrose

Fait, en les rongeant,

Luire les murailles

Comme les écailles

D'un lézard changeant.

Il fond comme cire

Agate, porphyre,

Pierres du tombeau,

Ploie, ainsi qu'un arbre,

Le géant de marbre

Qu'ils nommaient Nabo,

Et chaque colonne

Brûle et tourbillonne

Comme un grand flambeau !

En vain quelques mages

Portent les images

Des dieux du haut lieu ;

En vain leur roi penche

إذا كان المقطع مكون من خمسة أبيات يسمى (quintile)

Sa tunique blanche

Sur le soufre bleu ;

Le flot qu'il contemple

Emporte leur temple

Dans ses plis de feu !

Plus loin il charrie

Un palais, où crie

Un peuple à l'étroit ;

L'onde incendiaire

Mord l'îlot de pierre

Qui fume et décroît,

Flotte à sa surface,

Puis fond et s'efface

Comme un glaçon froid !

Le grand prêtre arrive

Sur l'ardente rive

D'où le reste a fui.

قافية متقاطعة
(rimes croisées)

Soudain sa tiare

Prend feu comme un phare,

Et pâle, ébloui,

Sa main qui l'arrache

À son front s'attache,

Et brûle avec lui.

القافية هنا تسمى قافية متقاطعة
(rimes croisées)

Le peuple, hommes, femmes,

Court... Partout les flammes

Aveuglent ses yeux ;

Des deux villes mortes

Assiégeant les portes À flots furieux,

La foule maudite

Croit voir, interdite,

L'enfer dans les cieux !

VIII- يصف الشاعر في الفقرة الثّامنة أهوال سقوط سحابة النّار على الأبراج وعلى النّاس، فلم تترك أيّ شيء إلا وغظت عليه بأودية من النار.

IX

المقطع المكون من أربعة أبيات يسمى (quatrain)

On dit qu'alors, ainsi que pour voir un supplice
Un vieux captif se dresse aux murs de sa prison,
On vit de loin Babel, leur fatale complice,
Regarder par-dessus les monts de l'horizon.

(quatrain)

On entendit, durant cet étrange mystère,
Un grand bruit qui remplit le monde épouvanté,
Si profond qu'il troubla, dans leur morne cité,
Jusqu'à ces peuples sourds qui vivent sous la terre.

IX- يتحدث الشاعر في هذه الفقرة عن الصّحيح النّاتج عن النّار، وعن البركان الّذي يسمع من بعيد حتى من مدينة بابل.

X

Le feu fut sans pitié ! Pas un des condamnés
Ne put fuir de ces murs croulants et calcinés.
Pourtant, ils levaient leurs mains viles,
Et ceux qui s'embrassaient dans un dernier adieu,

(distique)

Terrassés, éblouis, se demandaient quel dieu
Versait un volcan sur leurs villes.
Contre le feu vivant, contre le feu divin,
De larges toits de marbre ils s'abritaient en vain.
Dieu sait atteindre qui le brave.
Ils invoquaient leurs dieux ; mais le feu qui punit
Frappait ces dieux muets, dont les yeux de granit
Soudain fondaient en pleurs de lave.
Ainsi tout disparut sous le noir tourbillon,
L'homme avec la cité, l'herbe avec le sillon !
Dieu brûla ces mornes campagnes.

نازفة
(sizain)

(distique)

Rien ne resta debout de ce peuple détruit,
Et le vent inconnu qui souffla cette nuit

Changea la forme des montagnes.

X- يصف الشاعر في الفقرة العاشرة هول الأحداث والنيران والبراكين وأن لا أحد يمكنه الهروب منها، وهنا يقول للناس بأن يستحضروا آلهتهم لينقذوهم لكن دون جدوى، إلى أن يختفي كلّ شيء تحت الدّوامة السّوداء النّاس والطّبيعة فقد أحرق الله المدينة والشّعب بأكمله.

XI

قافية متبعة
(rime plate ou suivi)

Aujourd'hui le palmier qui croît sur le rocher
Sent sa feuille jaunir et sa tige sécher

قافية متبعة
(rime suivi)

À cet air qui brûle et qui pèse.
Ces villes ne sont plus ; et, miroir du passé,
Sur leurs débris éteints s'étend un lac glacé,
Qui fume comme une fournaise !

XI- يصف الشاعر في الفقرة الأخيرة حال المدينتين بعد الدمار واللتان أصبحتا جافتين وقاحلتين.

الحقول الدلالية:

1-حقل الحيوان:

أفعى Serpent

الطير L’oiseau

السّمك Lepoisson

النّاقة le Chamelle

التّمساح LeCrocodile

النّمر le tigre

السّحلية Le Lézard

الفيل L’eléphant

النّسر L’aigle

الثّور Letaureau

الحصان Le cheval

2- حقل الطبيعة:

الرّياح Le vent

السّماء Leciel

البحر La mer

الشّمس Le soleil

السّحاب Lenuages

التلّ Lacolline

القمر Lalune

كلّها خصائص شعرية جعلت "فيكتور هوجو" يتميز عن غيره من الشّعراء ويرسم لنفسه مكانة متميّزة وخالدة على مدى العصور والأزمنة فقد كان "فيكتور هوجو" ولا يزال رمزا شعريا كبيرا ليس في فرنسا وحدها بل في جميع أنحاء العالم، وهو الّذي اختزل القرن التّاسع عشر من أوّله إلى آخره، فقد جسّد طموحات هذا القرن، وآماله، عاكسا في أعماله عثراته، وتقلّباته، وأزماته وفواجعه، ممجّدا التقدّم الصّناعي، مدافعا عن الجمهورية وقوانينها، مساندا للمرأة في نضالها من أجل التحرّر.

وقد كتب الشاعر الفرنسي "لين بول" عن "فيكتور هوجو" قائلا: <<هوجو هو الجرس الكبير للكاتدرائية الفرنسية، وهو النّاقوس، وقد ابتكر وخلق وحطّم بعض الجدران وفتح ثقوبا في بعض السّقوف، وبقوّته الشّعرية الهائلة تمكّن فرسان الفنّ المرعب والغامض من أن يتقدّموا خطوات إلى الأمام في هذا المجال الذي لا تزال الأعمال الفنية العظيمة التي تنتمي إليه، مؤثرا إلى حدّ هذه الساعة، حوله وبعده لم يعش الشّعراء من مختلف المستويات ومن مختلف الإيقاعات إلا شظيات النّغم الصّادر من هذا البوق. إنّ هوجو هو اللّوحة الكهربائية للشّعر الحديث بكلّ ما فيه من إيقاعات>>[1].

المبحث الثالث:تحليل مضمون الديوان.

– المرأة الشرقية:

[1]– حسونة المصباحي: فيكتور هوجو، نسر الشعراء الفرنسي، 2016، 51: 13.

حظي

موضوعالمرأةباهتمامبالغضمنخريطةالانشغالاتالعلميةوالأكاديمية،ولاسيماالمرأةالشرقية،تلكالمرأةالتيتجمعبدا خلهاصفاتالطفلةالشقيةوالمرأةالناضجةوالانثالحنونةوالأمالمحبة،تلكالمرأةالتيلامثيللهابيننساءالعالم[1].

وإنّ تصفحديوان(الشرقيات)يبينأنّ "فيكتور هوجو"تحدثعنالمرأةفياكثرمنقصيدةوقدقدملكلامراةشخصيةنسائيةمختلفةفقدكتب عن:

- الأسيرةLa Captive.
- ضوءالقمرClair de Lune.
- الحجابLe Voile.
- السلطانالمفضلةLa Sultane Favorite.
- سارةالتيتستحمSara La Baigneuse.
- وداعالمضيفةالعربيةAdieux de l'Hôtesse Arabe.[2]

[1]- معجب بن سعيد الزهراني، الشرق والشرقيون في ديوان فيكتور هوجو.

[2]- Victor Hugo, les orientales.

وهذا ما عبّر عنه "فيكتور هوجو" بقوله:

LA CAPTIVE الأسيرة

Si je n'étais captive,
J'aimerais ce pays,
Et cette mer plaintive,
Et ces champs de maïs,
Et ces astres sans nombre,
Si le long du mur sombre
N'étincelait dans l'ombre
Le sabre des spahis.

Je ne suis point tartare
Pour qu'un eunuque noir
M'accorde ma guitare,
Me tienne mon miroir.
Bien loin de ces Sodomes,
Au pays dont nous sommes,
Avec les jeunes hommes
On peut parler le soir.

Pourtant j'aime une rive
Où jamais des hivers
Le souffle froid n'arrive
Par les vitraux ouverts.
L'été, la pluie est chaude,
L'insecte vert qui rôde
Luit, vivante émeraude,
Sous les brins d'herbe verts.

Smyrne est une princesse

Avec son beau chapel ;
L'heureux printemps sans cesse
Répond à son appel,
Et, comme un riant groupe
De fleurs dans une coupe,
Dans ses mers se découpe
Plus d'un frais archipel.

J'aime ces tours vermeilles,
Ces drapeaux triomphants,
Ces maisons d'or, pareilles
A des jouets d'enfants ;
J'aime, pour mes pensées
Plus mollement bercées,
Ces tentes balancées
Au dos des éléphants.

Dans ce palais de fées,
Mon cœur, plein de concerts,
Croit, aux voix étouffées
Qui viennent des déserts,
Entendre les génies
Mêler les harmonies
Des chansons infinies
Qu'ils chantent dans les airs[(1)].

فالأسيرة امرأة غير شرقية تتمنى لو كانت حرة لتحب هذا الفضاء القريب من البحر الدافئ، وأرضها لمزروعة بحقول الذرة الجميلة وسماؤه المرصعة بالنجوم الزاهية.

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:97-99.

وعندما ترى الحراس حولها تتذكر بلادها ولقاءات الغرام بين الشبان والفتيات دون اي رقابة، ولع لتلك الحصون القمرية والبيوت الذهبية الجميلة كلعب الأطفال والهوادج المتأرجحة فوق ظهور الجمال والأفيال وموسيقى تلك الأصوات الهادئة التي تمتد من أعماق الصحراء، كلها عوامل إذا جعل تلك الأسيرة تتعلق بالفضاءات الشرقية [1].وهذا يجعلنا نفهم أن الشاعر أراد أن يبين أن هذه الأسيرة تعشق عالم الشرق الساحر.

وربما أراد الشاعر أن يعبر عن ذاته العميقة على لسان هذه الاسيرة التي وجدت في أسرها فرصة العيش في عالم الشرق الغامض.

[1]-معجب بن سعيد الزهراني ،الشرق والشرقيون في ديوان فيكتور هوجو.

تتحدث قصّة "ضوء القمر" "Claire de lune" عن وحشية الأتراك في تعاملهم مع اليونانيين الذين كانوا يحاربون من أجل حريتهم وفي نهاية القصيدة يظهر أنّ الأتراك كانوا يضعون اليونانيين داخل أكياس ويلفظونهم في البحر.

وفي ذلك يقول "فيكتور هوجو" في قصيدة:

Clair de lune ضوء القمر

La lune était sereine et jouait sur les flots. —
La fenêtre enfin libre est ouverte à la brise,
La sultane regarde, et la mer qui se brise,
Là-bas, d'un flot d'argent brode les noirs îlots.

De ses doigts en vibrant s'échappe la guitare.
Elle écoute... Un bruit sourd frappe les sourds échos.
Est-ce un lourd vaisseau turc qui vient des eaux de Cos,
Battant l'archipel grec de sa rame tartare ?

Sont-ce des cormorans qui plongent tour à tour,
Et coupent l'eau, qui roule en perles sur leur aile ?
Est-ce un djinn qui là-haut siffle d'un voix grêle,
Et jette dans la mer les créneaux de la tour ?

Qui trouble ainsi les flots près du sérail des femmes ? —
Ni le noir cormoran, sur la vague bercé,
Ni les pierres du mur, ni le bruit cadencé
Du lourd vaisseau, rampant sur l'onde avec des rames.

Ce sont des sacs pesants, d'où partent des sanglots.
On verrait, en sondant la mer qui les promène,
Se mouvoir dans leurs flancs comme une forme humaine... —
La lune était sereine et jouait sur les flots[(1)].

septembre 1828.

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:62.

أما في قصيدة ضوء القمر فالشاعر يرسم لنا من خلال الأمير الفنانة التي تعزف على الجيتار في شرفتها المضاءة بنور القمر، الفضاءات الشرقية الجميلة في عيون المرأة الفنانة. دون الالتفات إلى أوصافها الجسدية، فهو يعبر بطريقة غير مباشرة عن ذاته المفتونة بعالم الشرق الساحر[1].

قصيدة الحجاب هي قصيدة مخيفة تحكي حوارا دار بين فتاة شابة، انكشف عنها الخمار للحظة وهي آتية من الحمّام فتعرّضت للطّعن بسبب ذلك من طرف إخوتها الأربعة.

ويقول "فيكتور هوجو" في قصيدة:

LE VOILE الحجاب

La sœur.
Qu'avez-vous, qu'avez-vous, mes frères ?
Vous baissez des fronts soucieux.
Comme des lampes funéraires,
Vos regards brillent dans vos yeux.
Vos ceintures sont déchirées.
Déjà trois fois, hors de l'étui,
Sous vos doigts, à demi tirées,
Les lames des poignards ont lui.

Le frère ainé.
N'avez-vous pas levé votre voile aujourd'hui ?

La sœur.
Je revenais du bain, mes frères,
Seigneurs, du bain je revenais,
Cachée aux regards téméraires
Des giaours et des albanais.

[1]-Victor Hugo, les orientales.

En passant près de la mosquée
Dans mon palanquin recouvert,
L'air de midi m'a suffoquée :
Mon voile un instant s'est ouvert.

Le second frère.
Un homme alors passait ? un homme en caftan vert ?

La sœur.
Oui... peut-être... mais son audace
N'a point vu mes traits dévoilés...
Mais vous vous parlez à voix basse,
A voix basse vous vous parlez.
Vous faut-il du sang ? Sur votre âme,
Mes frères, il n'a pu me voir.
Grâce ! tuerez-vous une femme,
Faible et nue en votre pouvoir ?

Le troisième frère.
Le soleil était rouge à son coucher ce soir[1].

لقد صور لنا الشاعر في هذه القصيدة تلك الفتاة الشرقية التي تعود من الحمام متجنبة عيون الأجانب والكفار لكن نسمة من الهواء تزيح حجابها وهذا ما جعل إخوتها يثورون غضبا ويودّون عقابها دون الاكتراث لتوسلاتها، والشاعر يرمي من رواء هذا المشهد موقف الرجل الشرقي من حجاب المرأة وستر عورتها.

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:109-111.

وقد عبّر عن قصّة الفتاة اليهودية أيضا بقصيدة جميلة يقول في مقاطع منها:

LA SULTANE FAVORITE السلطانةالمفضلة

N'ai-je pas pour toi, belle juive,
Assez dépeuplé mon sérail ?
Souffre qu'enfin le reste vive.
Faut-il qu'un coup de hache suive
Chaque coup de ton éventail ?

Repose-toi, jeune maîtresse.
Fais grâce au troupeau qui me suit.
Je te fais sultane et princesse :
Laisse en paix tes compagnes, cesse
D'implorer leur mort chaque nuit.

Quand à ce penser tu t'arrêtes,
Tu viens plus tendre à mes genoux ;
Toujours je comprends dans les fêtes
Que tu vas demander des têtes
Quand ton regard devient plus doux.

Ah ! jalouse entre les jalouses !
Si belle avec ce coeur d'acier !
Pardonne à mes autres épouses.
Voit-on que les fleurs des pelouses
Meurent à l'ombre du rosier ?

Ne suis-je pas à toi ? Qu'importe,
Quand sur toi mes bras sont fermés,
Que cent femmes qu'un feu transporte
Consument en vain à ma porte

Leur souffle en soupirs enflammés ?

Dans leur solitude profonde,
Laisse-les t'envier toujours ;
Vois-les passer comme fuit l'onde ;
Laisse-les vivre : à toi le monde !
A toi mon trône, à toi mes jours !

A toi tout mon peuple - qui tremble !
A toi Stamboul qui, sur ce bord
Dressant mille flèches ensemble,
Se berce dans la mer, et semble
Une flotte à l'ancre qui dort !

A toi, jamais à tes rivales,
Mes spahis aux rouges turbans,
Qui, se suivant sans intervalles,
Volent courbés sur leurs cavales
Comme des rameurs sur leurs bancs ![1]

ففي هذه القصيدة يروي لنا الشاعر قصة الفتاة اليهودية التي أحبها السلطان وتعلق بها إلى درجة أنه أراد التضحية من أجلها «بنفسه وشعبه وجنوده وأجمل مدن امبراطوريته من البصرة والموصل شرقا إلى فاس ومدن البلقان غربا» فلسلطان مثله يحتاج إلى امرأة مثلها كما «يحتاج الخنجر النفيس المعدن إلى الجواهر النفيسة» وتستغل هذه اليهودية الفرصة لتشبع نزواتها المرضية فتطلب في كل عيد رأس ضحية جديدة.والشاعر بذلك يعيد رسم حكايات توراتيه فهذه المرأة صورة أخرى "لسالومي".

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:115-117.

تتحدث قصيدة وداع المضيفة العربية عن فتاة عربية لم تستطع كبح نفسها من توديع المسافر الأبيض الغريب، كما تظهر أسفها لعدم تمكّن المسافر من الاستقرار والزّواج في بلد عربي فقط بسبب الأصول.

وقد رسم هذه الأحداث في قصيدة جميلة سمّاها:

وداع المضيفة العربيّة ADIEUX DE L'HOTESSE ARABE

Puisque rien ne t'arrête en cet heureux pays,
Ni l'ombre du palmier, ni le jaune maïs,
Ni le repos, ni l'abondance,
Ni de voir à ta voix battre le jeune sein
De nos sœurs, dont, les soirs, le tournoyant essaim
Couronne un coteau de sa danse,

Adieu, voyageur blanc ! J'ai sellé de ma main,
De peur qu'il ne te jette aux pierres du chemin,
Ton cheval à l'œil intrépide ;
Ses pieds fouillent le sol, sa croupe est belle à voir,
Ferme, ronde et luisante ainsi qu'un rocher noir
Que polit une onde rapide.

Tu marches donc sans cesse ! Oh ! que n'es-tu de ceux
Qui donnent pour limite à leurs pieds paresseux
Leur toit de branches ou de toiles !
Qui, rêveurs, sans en faire, écoutent les récits,
Et souhaitent, le soir, devant leur porte assis,
De s'en aller dans les étoiles !

Si tu l'avais voulu, peut-être une de nous,
Ô jeune homme, eût aimé te servir à genoux
Dans nos huttes toujours ouvertes ;
Elle eût fait, en berçant ton sommeil de ses chants,
Pour chasser de ton front les moucherons méchants,

Un éventail de feuilles vertes.

Mais tu pars ! – Nuit et jour, tu vas seul et jaloux.
Le fer de ton cheval arrache aux durs cailloux
Une poussière d'étincelles ;
A ta lance qui passe et dans l'ombre reluit,
Les aveugles démons qui volent dans la nuit
Souvent ont déchiré leurs ailes.

Si tu reviens, gravis, pour trouver ce hameau,
Ce mont noir qui de loin semble un dos de chameau ;
Pour trouver ma hutte fidèle,
Songe à son toit aigu comme une ruche à miel,
Qu'elle n'a qu'une porte, et qu'elle s'ouvre au ciel
Du côté d'où vient l'hirondelle.

Si tu ne reviens pas, songe un peu quelquefois
Aux filles du désert, sœurs à la douce voix,
Qui dansent pieds nus sur la dune ;
Ô beau jeune homme blanc, bel oiseau passager,
Souviens-toi, car peut-être, ô rapide étranger,
Ton souvenir reste à plus d'une !

Adieu donc ! – Va tout droit. Garde-toi du soleil
Qui dore nos fronts bruns, mais brûle un teint vermeil ;
De l'Arabie infranchissable ;
De la vieille qui va seule et d'un pas tremblant ;
Et de ceux qui le soir, avec un bâton blanc,
Tracent des cercles sur le sable ! **(1)**

Novembre 1828.

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:189-191.

هذه القصيدة تعبر بشكل كبير عن حلم الشاعر بامرأة شرقية مثالية، فهذه المرأة تعيش في أعماق الصحراء بعيدا عن مدن الأتراك وعالم الحريم والفساد وما إن يمر بها الفارس الأبيض الأوربي حتى يقع في غرامها وتكتب هذه القصيدة في وداعه لتعبر عن حبها وتعلقها به وهي تحذره في الوقت نفسه من أخطار الطريق، وشخصية الفارس هنا، فهي الصورة النموذجية التي يحلم بها الذات الشاعرة التي تعشق الحرية والانطلاق في الصحراء بالمدينة الجميلة صاحبة الجبين الذي تزينه ظلال الأشجار المستلقية على شاطئ الخليج مما يجعل مياهه تبدو كما لو كانت كوكبا فاتنا تضيئه أنوار السماء فتلمع انعكاساتها الراقصة على الأمواج الهادئة [1].

– المدن الشرقية:

إن القراءة المتأنية لديوان الشرقيات تكشف لنا أنّ "فيكتور هيجو" كان مولعا بالمدن الشرقية. فمثلا في القصيدة الأولى "نار السماء" يرسم لنا الشاعر مدينتي "سدوم" و"عمورة" وكيف لحقهما عذاب الرب وذلك كما ورد في سفر التكوين وهذا ما أحال إليه الشاعر في مطلع القصيدة:

LE FEU DU CIEL

I.

La voyez-vous passer, la nuée au flanc noir ?
Tantôt pâle, tantôt rouge et splendide à voir,
Morne comme un été stérile ?
On croit voir à la fois, sur le vent de la nuit,
Fuir toute la fumée ardente et tout le bruit
De l'embrasement d'une ville.

D'où vient-elle ? des cieux, de la mer ou des monts ?
Est-ce le char de feu qui porte les démons

[1]– معجب بن السعيد الزهراني: الشرق والشرقيون في ديوان فيكتور هوجو.

À quelque planète prochaine ?
Ô terreur ! de son sein, chaos mystérieux,
D'où vient que par moments un éclair furieux
Comme un long serpent se déchaîne ?[1]

ليصور في المقطع الرابع مدينة مصر بحقولها الجميلة الممتدّة وكأنّها سجّادة غنية بالزّخارف بين بحر بارد في الشّمال وصحاري دافئة في الجنوب، وأهرامها الّتي تبدو كجبالٍ مصنوعةٍ يحرسها أبو الهول.

يقول "فيكتور هوجو" في المقطع الرّابع من قصيدة نار السماء:

LE FEU DU CIEL

IV.

L'Égypte ! - Elle étalait, toute blonde d'épis,
Ses champs, bariolés comme un riche tapis,
Plaines que des plaines prolongent ;
L'eau vaste et froide au nord, au sud le sable ardent
Se dispute l'Égypte : elle rit cependant
Entre ces deux mers qui la rongent.

Trois monts bâtis par l'homme au loin perçaient les cieux
D'un triple angle de marbre, et dérobaient aux yeux
Leurs bases de cendre inondées ;
Et de leur faîte aigu jusqu'aux sables dorés,
Allaient s'élargissant leurs monstrueux degrés,
Faits pour des pas de six coudées.

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:06.

Un sphinx de granit rose, un dieu de marbre vert,
Les gardaient, sans qu'il fût vent de flamme au désert
Qui leur fît baisser la paupière.
Des vaisseaux au flanc large entraient dans un grand port.
Une ville géante, assise sur le bord,
Baignait dans l'eau ses pieds de pierre.

On entendait mugir le semoun meurtrier,
Et sur les cailloux blancs les écailles crier
Sous le ventre des crocodiles.
Les obélisques gris s'élançaient d'un seul jet.
Comme une peau de tigre, au couchant s'allongeait
Le Nil jaune, tacheté d'îles.

L'astre-roi se couchait. Calme, à l'abri du vent,
La mer réfléchissait ce globe d'or vivant,
Ce monde, âme et flambeau du nôtre ;
Et dans le ciel rougeâtre et dans les flots vermeils,
Comme deux rois amis, on voyait deux soleils
Venir au-devant l'un de l'autre.

- Où faut-il s'arrêter ? dit la nuée encor.
- Cherche ! dit une voix dont trembla le Thabor[1].

أمّا في المقطع السادس فيرسم لنا الشّاعر مدينة بابل بصورة مخيفة، فيجعلها مدينة أطلال تسكنها الأشباح والتّماسيح والسّحالي وقطعان الفيلة والنّسور الجارحة:

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:07-08.

LE FEU DU CIEL

VI.

Comme un énorme écueil sur les vagues dressé,
Comme un amas de tours, vaste et bouleversé,
Voici Babel, déserte et sombre.
Du néant des mortels prodigieux témoin,
Aux rayons de la lune, elle couvrait au loin
Quatre montagnes de son ombre.

L'édifice écroulé plongeait aux lieux profonds.
Les ouragans captifs sous ses larges plafonds
Jetaient une étrange harmonie.
Le genre humain jadis bourdonnait à l'entour,
Et sur le globe entier Babel devait un jour
Asseoir sa spirale infinie.

Ses escaliers devaient monter jusqu'au zénith.
Chacun des plus grands monts à ses flancs de granit
N'avait pu fournir qu'une dalle.
Et des sommets nouveaux d'autres sommets chargés
Sans cesse surgissaient aux yeux découragés
Sur sa tête pyramidale.

Les boas monstrueux, les crocodiles verts,
Moindres que des lézards sur ses murs entrouverts,
Glissaient parmi les blocs superbes ;
Et, colosses perdus dans ses larges contours,
Les palmiers chevelus, pendant au front des tours,
Semblaient d'en bas des touffes d'herbes.

Des éléphants passaient aux fentes de ses murs ;
Une forêt croissait sous ses piliers obscurs
Multipliés par la démence ;
Des essaims d'aigles roux et de vautours géants
Jour et nuit tournoyaient à ses porches béants,
Comme autour d'une ruche immense.

- Faut-il l'achever ? dit la nuée en courroux. -
Marche ! - Seigneur, dit-elle, où donc m'emportez-vous ?[1]

يظهر لنا من خلال هذه التّمثيلات أنّ الشّاعر بصدد تصوير المدن الشّرقية الأسطورية الّتي يستعيد الشّاعر صورها وحكاياتها من الكتاب المقدّس بمعنى أنّ مرجعية التّمثيل هنا دينية.

كما يصوّر في قصيدة (رؤوس السّراي) مدينة إسطنبول فيصفها بالمدينة البهيجة التي تزيّنها ظلال الأشجار فتبدو كما لو كانت كوكبا تضيئه أنوار السماء فتنعكس تلك الأنوار على الأمواج الهادئة. كما يرسم الناهويّة المدينة الشّرقية الإسلامية من خلال تصوير أسطح المنازل المستويّة ومنابر المساجد البيضاء والشّرفات الواسعة، وكذلك الأسواق المليئة بالدّكاكين وبضائعها الجميلة الألوان، زد على ذلك الحدائق وبساتين النّخل المحيطة بالمدينة المطلّة على البحر. وهذه المشاهد كلّها تجعل منها مدنية رومنسية فاتنة.وهي قصيدة طويلة نظمها الشّاعر على شكل حكاية تروي هذه الأحداث المشوّقة من جهة والمعقّدة من جهة أخرى يقول فيها وهو يصف مدينة اسطنبول بأبيات رائعة.

وتحدّث فيكتور هوجو في قصيدة رؤوس السّرايا ***Les Tètes Du Sérail*** عن الإمبراطورية البحرية والجزر اليونانية وتعتبر ثلاثة مقاطع الأخيرة المتساوية في عدد السطور نداءا للثورة وتروي القصيدة أيضا عن رؤوس الأبطال الثلاث المقطوعة من أجل الاستقلال اليوناني، وهي في الوقت نفسه حديث عن الموت وعن الحياة في تناقض ملحوظ وذلك عند وصف الستّة آلاف رأس المزينة للسّرايا كملك تزيّنه مجوهراته.

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:11-12.

LES TETES DU SERAIL

I.

Le dôme obscur des nuits, semé d'astres sans nombre,
Se mirait dans la mer resplendissante et sombre ;
La riante Stamboul, le front d'étoiles voilé,
Semblait, couchée au bord du golfe qui l'inonde,
Entre les feux du ciel et les reflets de l'onde,
Dormir dans un globe étoilé.

On eût dit la cité dont les esprits nocturnes
Bâtissent dans les airs les palais taciturnes,
À voir ses grands harems, séjours des longs ennuis,
Ses dômes bleus, pareils au ciel qui les colore,
Et leurs mille croissants, que semblaient faire éclore
Les rayons du croissant des nuits.

L'œil distinguait les tours par leurs angles marquées,
Les maisons aux toits plats, les flèches des mosquées,
Les moresques balcons en trèfles découpés,
Les vitraux, se cachant sous des grilles discrètes,
Et les palais dorés, et comme des aigrettes
Les palmiers sur leur front groupés.

Là, de blancs minarets dont l'aiguille s'élance
Tels que des mâts d'ivoire armés d'un fer de lance ;
Là, des kiosques peints ; là, des fanaux changeants ;
Et sur le vieux sérail, que ses hauts murs décèlent,

Cent coupoles d'étain, qui dans l'ombre étincellent
Comme des casques de géants ![1]

فهو بذلك يصف نوعا آخر من المدن ألا وهي المدن الشرقية الموجودة والّتي لم يزرها الشّاعر وإنّما تحدّث عنها استنادا إلى المرجعيات الأدبية والثقافية المتاحة في عصره كما تحدّث في نصوص أخرى عن المدن الشّرقية الجميلة كالقاهرة والبصرة والموصل وحلب وفاس [2].

Grenade

Soit lointaine, soit voisine,
Espagnole ou sarrazine,
Il n'est pas une cité
Qui dispute sans folie
A Grenade la jolie
La pomme de la beauté,
Et qui, gracieuse, étale
Plus de pompe orientale
Sous un ciel plus enchanté.

Cadix a les palmiers ; Murcie a les oranges ;
Jaën, son palais goth aux tourelles étranges ;
Agreda, son couvent bâti par saint-Edmond ;
Ségovie a l'autel dont on baise les marches,
Et l'aqueduc aux trois rangs d'arches
Qui lui porte un torrent pris au sommet d'un mont.

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:35-36.

[2]- انظر: معجب بن سعيد الزّهراني، مقالات نقدية (الشّرق والشّرقيون في ديوان فيكتور هوجو).

Llers a des tours ; Barcelone
Au faîte d'une colonne
Lève un phare sur la mer ;
Aux rois d'Aragon fidèle,
Dans leurs vieux tombeaux, Tudèle
Garde leur sceptre de fer ;
Tolose a des forges sombres
Qui semblent, au sein des ombres,
Des soupiraux de l'enfer.

Le poisson qui rouvrit l'œil mort du vieux Tobie
Se joue au fond du golfe où dort Fontarabie ;
Alicante aux clochers mêle les minarets ;
Compostelle a son saint ; Cordoue aux maisons vieilles
A sa mosquée où l'œil se perd dans les merveilles ;
Madrid a le Manzanarès.

قصيدة غرناطة قصيدة جميلة، ومن أجمل ما كتب شاعر فرنسي عن بلد شرقي، وفيها يمدح "غيكتور هوجو" مدينة غرناطة الإسبانية الموروثة ويقارنها بالعديد من مدن إسبانيا، كما يمدح بناءها المعماري، ثمّ يمجّد الطابع الشّرقي والمختلف لهذه المدينة والقصر الحمراء، إلا أنّه وبالرّغم من مدحه للجانب الشّرقي فيها إلا أنّه لا يتوانى عن قوله بأنّ غرناطة كاثوليكية، تبقى ماض فقط وأيضا (Alicante) وكلّ الأسماء الّتي تبدأ بـ Al وهي من أصل عربي.

– الرجال الشرقيون:

تحدّث "فيكتور هوجو" في قصيدته "بوناباردي" بلسان فارس عربيّ يترك مدينة القاهرة ليعيش حرّا مع حصانه في الصّحراء وبذلك يتغنّى ببطولة (سلطان الفرنجة) الّذي كان فارسا مثله يثير الإعجاب ببطولته الخارقة ويخاطبه قائلا:

– أوه ! حينما تعود لتحلم فوق هذا الجبل.

– تمهّل قليلا وأنت تعبر الرّيف يا "بونابري".

– سترى خيمتي الشّاحبة فوق الرّمال الثّائرة.

– لأنّني حرّ وفقير، عربي من القاهرة.

– حين أقول لحصاني: يا اللّه !...يطير الحصان الأصيل.

– وتحت حاجبيه جمرتان متقدمتان.

وقد صوّر هذه الأحداث في قصيدة قصيرة وجميلة في الوقت نفسه:

بونابابردي BOUNABERDI

Souvent Bounaberdi, sultan des francs d'Europe,
Que comme un noir manteau le semoun enveloppe,
Monte, géant lui-même, au front d'un mont géant,
D'où son regard, errant sur le sable et sur l'onde,
Embrasse d'un coup d'œil les deux moitiés du monde
Gisantes à ses pieds dans l'abîme béant.

Il est seul et debout sur ce sublime faîte.
À sa droite couché, le désert qui le fête

D'un nuage de poudre importune ses yeux ;
À sa gauche la mer, dont jadis il fut l'hôte,
Elève jusqu'à lui sa voix profonde et haute,
Comme aux pieds de son maître aboie un chien joyeux.

Et le vieil empereur, que tout à tour réveille
Ce nuage à ses yeux, ce bruit à son oreille,
Rêve, et, comme à l'amante on voit songer l'amant,
Croit que c'est une armée, invisible et sans nombre,
Qui fait cette poussière et ce bruit pour son ombre,
Et sous l'horizon gris passe éternellement !

Prière.

Oh ! quand tu reviendras rêver sur la montagne,
Bounaberdi ! regarde un peu dans la campagne
Ma tente qui blanchit dans les sables grondants ;
Car je suis libre et pauvre, un arabe du Caire,
Et quand j'ai dit : Allah ! mon bon cheval de guerre
Vole, et sous sa paupière a deux charbons ardents ![1]

Novembre 1828.

كما تحدّث في قصيدة (رؤوس السراي) عن حياة التّرف الّتي يعيشها السّلطان في قصره، ويصوّر من جهة أخرى تلك الرّؤوس المقطوعة والّتي تشكّل جزءا من المشهد الاحتفالي للسّلطان، فالجيش الّذي هزم العدوّ أرسل ثلاثة رؤوس من زعماء التّمرّد إلى السّلطان، وهذا يتولّد موقف النّفور منه والعداء له لدى الشّاعر ولدى القارئ المفترض لنصّه الشّعري.

وقد عبّر عن هذه الأحداث في قصيدة جميلة يقول في مقطع رائع منها:

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:301-302.

LES TETES DU SERAIL رؤوس السراي

« Oui, Canaris, tu vois le sérail et ma tête
Arrachée au cercueil pour orner cette fête.
Les Turcs m'ont poursuivi sous mon tombeau glacé.
Vois ! ces os desséchés sont leur dépouille opime :
Voilà de Botzaris ce qu'au sultan sublime
Le ver du sépulcre a laissé !

« Écoute : Je dormais dans le fond de ma tombe,
Quand un cri m'éveilla : Missolonghi succombe !
Je me lève à demi dans la nuit du trépas ;
J'entends des canons sourds les tonnantes volées,
Les clameurs aux clameurs mêlées,
Les chocs fréquents du fer, le bruit pressé des pas.

« J'entends, dans le combat qui remplissait la ville,
Des voix crier : « Défends d'une horde servile,
Ombre de Botzaris, tes Grecs infortunés ! »
Et moi, pour m'échapper, luttant dans les ténèbres,
J'achevais de briser sur les marbres funèbres
Tous mes ossements décharnés.

« Soudain, comme un volcan, le sol s'embrase et gronde... —
Tout se tait ; — et mon œil ouvert pour l'autre monde
Voit ce que nul vivant n'eût pu voir de ses yeux.
De la terre, des flots, du sein profond des flammes,
S'échappaient des tourbillons d'âmes
Qui tombaient dans l'abîme ou s'envolaient aux cieux !

« Les Musulmans vainqueurs dans ma tombe fouillèrent ;
Ils mêlèrent ma tête aux vôtres qu'ils souillèrent.
Dans le sac du Tartare on les jeta sans choix.
Mon corps décapité tressaillit d'allégresse ;

Il me semblait, ami, pour la Croix et la Grèce
Mourir une seconde fois [(1)].

أما في قصيدة (نافارين) فقد تحدّث فيها عن معركة وقعت في هذه المدينة، كان النّصر فيها للثوّار اليونانيين وحلفائهم الغربيين، وهنا يرسم شخصية القائد "إبراهيم باشا" الّذي قاد المعركة باسم السّلطان.وقد أبدع "فيكتور هوجو" في تصوير شخصية الرّجل الشّرقي في قصيدته المعنونة بـ:

NAVARIN نافارين

I.

Canaris ! Canaris ! pleure ! cent vingt vaisseaux !
Pleure ! Une flotte entière ! – Où donc, démon des eaux,
Où donc était ta main hardie ?
Se peut-il que sans toi l'ottoman succombât ?
Pleure ! comme Crillon exilé d'un combat,
Tu manquais à cet incendie !

Jusqu'ici, quand parfois la vague de tes mers
Soudain s'ensanglantait, comme un lac des enfers,
D'une lueur large et profonde,
Si quelque lourd navire éclatait à nos yeux
Couronné tout à coup d'une aigrette de feux,
Comme un volcan s'ouvrant dans l'onde ;

Si la lame roulait turbans, sabres courbés,
Voiles, tentes, croissants des mâts rompus tombés,
Vestiges de flotte et d'armée,
Pelisses de vizirs, sayons de matelots,
Rebuts stigmatisés de la flamme et des flots,
Blancs d'écume et noirs de fumée ;

Si partait de ces mers d'Egine ou d'Iolchos

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:42-43.

Un bruit d'explosion, tonnant dans mille échos
Et roulant au loin dans l'espace,
L'Europe se tournait vers le rougo Orient ;
Et, sur la poupe assis, le nocher souriant
Disait : — C'est Canaris qui passe !

Jusqu'ici quand brûlaient au sein des flots fumants
Les capitans-pachas avec leurs armements,
Leur flotte dans l'ombre engourdie,
On te reconnaissait à ce terrible jeu ;
Ton brûlot expliquant tous ces vaisseaux en feu ;
Ta torche éclairait l'incendie !

Mais pleure aujourd'hui, pleure, on s'est battu sans toi !
Pourquoi, sans Canaris, sur ces flottes, pourquoi
Porter la guerre et ses tempêtes ?
Du Dieu qui garde Hellé n'est-il plus le bras droit ?
On aurait dû l'attendre ! Et n'est-il pas de droit
Convive de toutes ces fêtes ?[1]

في نصٍّ آخر بعنوان (شاعر الخليفة) يعبّر الشّاعر بلسان شاعر شرقي، الّذي يتوجّه إلى السّلطان "نور الدّين" فيصفه: "بأنّ الله أحبّه فاختاره خليفة بحكم إمبراطورية عظيمة تمتدّ من البحر الأحمر غربا إلى الصّين شرقا، وملوك الأرض كلّهم يهابونه ويرجون مودّته فيما هو يعيش هانئا في قصور فخمة ذات حدائق غناء يحيط به خدمه وجنده وثلاثمائة من أبنائه فضلا عن نسائه وجواريه".

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:59-61.

وهذا ما عبّر عنه في قصيدته:

LE POETE AU CALIFE شاعر الخليفة

Ô sultan Noureddin, calife aimé de Dieu !
Tu gouvernes, seigneur, l'empire du milieu,
De la mer rouge au fleuve jaune.
Les rois des nations, vers ta face tournés,
Pavent, silencieux, de leurs fronts prosternés
Le chemin qui mène à ton trône.

Ton sérail est très grand, tes jardins sont très beaux.
Tes femmes ont des yeux vifs comme des flambeaux,
Qui pour toi seul percent leurs voiles.
Lorsque, astre impérial, aux peuples pleins d'effroi
Tu luis, tes trois cents fils brillent autour de toi
Comme ton cortège d'étoiles

Ton front porte une aigrette et ceint le turban vert.
Tu peux voir folâtrer dans leur bain, entr'ouvert
Sous la fenêtre où tu te penches,
Les femmes de Madras plus douces qu'un parfum,
Et les filles d'Alep qui sur leur beau sein brun
Ont des colliers de perles blanches.

Ton sabre large et nu semble en ta main grandir.
Toujours dans la bataille on le voit resplendir,
Sans trouver turban qui le rompe,
Au point où la mêlée a de plus noirs détours,
Où les grands éléphants, entre-choquant leurs tours,
Prennent des chevaux dans leur trompe **(1)**.

[1]- Victor Hugo: les orientales, p:294-296.

الفصل الثالث:

أثر الشرق في قصيدة غرناطة

المبحث الأول: ترجمة قصيدة غرناطة

GRENADE

Soit lointaine, soit voisine,
Espagnole ou sarrazine,
Il n'est pas une cité
Qui dispute sans folie
A Grenade la jolie
La pomme de la beauté,
Et qui, gracieuse, étale
Plus de pompe orientale
Sous un ciel plus enchanté.

Cadix a les palmiers ; Murcie a les oranges ;
Jaën, son palais goth aux tourelles étranges ;
Agreda, son couvent bâti par saint-Edmond ;
Ségovie a l'autel dont on baise les marches,
Et l'aqueduc aux trois rangs d'arches
Qui lui porte un torrent pris au sommet d'un mont.

Llers a des tours ; Barcelone
Au faîte d'une colonne
Lève un phare sur la mer ;
Aux rois d'Aragon fidèle,
Dans leurs vieux tombeaux, Tudèle
Garde leur sceptre de fer ;
Tolose a des forges sombres
Qui semblent, au sein des ombres,
Des soupiraux de l'enfer.

Le poisson qui rouvrit l'œil mort du vieux Tobie
Se joue au fond du golfe où dort Fontarabie ;
Alicante aux clochers mêle les minarets ;
Compostelle a son saint ; Cordoue aux maisons vieilles

A sa mosquée où l'œil se perd dans les merveilles ;
Madrid a le Manzanarès.

Bilbao, des flots couverte,
Jette une pelouse verte
Sur ses murs noirs et caducs ;
Médina la chevalière,
Cachant sa pauvreté fière
Sous le manteau de ses ducs,
N'a rien que ses sycomores,
Car ses beaux pont sont aux maures,
Aux romains ses aqueducs.

Valence a les clochers de ses trois cents églises ;
L'austère Alcantara livre au souffle des brises
Les drapeaux turcs pendus en foule à ses piliers ;
Salamanque en riant s'assied sur trois collines,
S'endort au son des mandolines
Et s'éveille en sursaut aux cris des écoliers.

Tortose est chère à saint-Pierre ;
Le marbre est comme la pierre
Dans la riche puycerda ;
De sa bastille octogone
Tuy se vante, et Tarragone
De ses murs qu'un roi fonda ;
Le Douro coule à Zamore ;
Tolède a l'alcazar maure,
Séville a la giralda.

Burgos de son chapitre étale la richesse ;
Peñaflor est marquise, et Girone est duchesse ;
Bivar est une nonne aux sévères atours ;
Toujours prête au combat, la sombre Pampelune,
Avant de s'endormir aux rayons de la lune,
Ferme sa ceinture de tours.

Toutes ces villes d'Espagne
S'épandent dans la campagne
Ou hérissent la sierra ;
Toutes ont des citadelles
Dont sous des mains infidèles
Aucun beffroi ne vibra ;
Toutes sur leurs cathédrales
Ont des clochers en spirales ;
Mais Grenade a l'Alhambra.

L'Alhambra ! l'Alhambra ! palais que les Génies
Ont doré comme un rêve et rempli d'harmonies,
Forteresse aux créneaux festonnés et croulants,
Ou l'on entend la nuit de magiques syllabes,
Quand la lune, à travers les mille arceaux arabes,
Sème les murs de trèfles flancs !

Grenade a plus de merveilles
Que n'a de graines vermeilles
Le beau fruit de ses vallons ;
Grenade, la bien nommée,
Lorsque la guerre enflammée
Déroule ses pavillons,
Cent fois plus terrible éclate
Que la grenade écarlate
Sur le front des bataillons.

Il n'est rien de plus beau ni de plus grand au monde ;
Soit qu'à Vivataubin Vivaconlud réponde,
Avec son clair tambour de clochettes orné ;
Soit que, se couronnant de feux comme un calife
L'éblouissant Généralife
Elève dans la nuit son faîte illuminé.

Les clairons des Tours-Vermeilles

Sonnent comme des abeilles
Dont le vent chasse l'essaim ;
Alcacava pour les fêtes
A des cloches toujours prêtes
A bourdonner dans son sein,
Qui dans leurs tours africaines
Vont éveiller les dulcaynes
Du sonore Albaycin.

Grenade efface en tout ses rivales ; Grenade
Chante plus mollement la molle sérénade ;
Elle peint ses maisons de plus riches couleurs ;
Et l'on dit que les vents suspendent leurs haleines
Quand par un soir d'été Grenade dans ses plaines
Répand ses femmes et ses fleurs.

L'Arabie est son aïeule.
Les maures, pour elle seule,
Aventuriers hasardeux,
Joueraient l'Asie et l'Afrique,
Mais Grenade est catholique,
Grenade se raille d'eux ;
Grenade, la belle ville,
Serait une autre Séville,
S'il en pouvait être deux.

Avril 1828.

1- ترجمة أولى لقصيدة غرناطة:

ليست بعيدة وليست قريبة

إسبانية أم مسلمة

ليست مدينة

لا توجد فيها أجزاء غريبة

في غرناطة توجد السّعادة

هي تفّاحة الجمالِ

ومظاهر الحياة الشّرقية

تحت سماءٍ تمتلئ إشعاعًا

(قديس) فيها النّخيل (مُورسيا) في أشجار البرّتُقالِ

وقصر جون القوطي وأبراجه الغريبة

و(غريدا) ديرها المبني من طرف القدّيس أدمنوند

و(سيغوفيا) تمشي بحذرٍ في مذبحها

وقناة مائيّة تُزيّنها ثلاثة صفوفٍ من الأقواس

يجري فيها سيل من الماء المتدفق من أعلى قمّة في الجبل

و(يريس) لها أبراج برشلونة يزيّنها عمود

يضيء فوق سطح البحر

لملوكِ (أراغون) الأوفياء

في مقابرهم العتيقة و(تودال) [1]

حارس لصولجانها الحديديّ.

(يولوس) فيها دكاكين حدادة مظلمة

التي تشبه في ظلمتها الأشباح المخيفة كفتحات الجحيم

والأسماك التي تفتح العين لـ (التوبي) العتيق

تلعب في أعماق الخليج أين تنام (هوداريبيا)

(أليكنتي) بأبراجها ومآذنها

(وكومبوستيلا) فيها قدّيس

وقرطبة ومنازلها العتيقة

ومسجدها أين تندهش العين فيها بعجائبها

(مدريد) وفيها (متزناريس)

(بلياو) بأمواجها (الكثيفة)

ومغطّاة بعشب أخضر

على أسوارها السّوداء القديمة

والمدينة المختومة

تضيء فقرها بافتخارٍ

تحت معاطف الدّوقات

لا تملك إلا أشجار الجمير

ذلك وأنّ جسورها الجميلة ملك للمورسيين

وقنواتها المائية للرومانيين

(فالنسا) لها أجراس وثلاث مئة كنيسة

وألكنترا المتشفقّة مستسلمة للنسائم المتضاربة

وأعمال تركيا معلّقة في الهواء في أعمدتها

(سلامان) الضاحكة التابعة فوق ثلاث تلالٍ

تغفوا على أصوات التلاميذ

(تورتوز) غالية على القديس بيير

الرّخام مثل الحجر

في بيوسردا الغنية

و(باستيل) ذات الحدود الثمانية

(تيي) تتباها و(ترافون)

(دورو) إلى (زامور)

(طليطلة) فيها القصر البربري

أشبيلية يوجد فيها (جيرالدا)

وبرغش تنتشر فيها الثروات

بينافلور هي المركيزة وجيرونا هي الدّوقة

بيفار هي راهبة بملابس أنيقة

أما بامبولونا فهي دائما مستعدة للمعارك

وقبل غروب الشمس

تغلق أبواب أبراجها

كل هذه المدن الاسبانية

تنتشر في الأماكن الرّيفية

أين تظهر جبال سييرا

وفي كل مدنها لها حصون

ولكن تحت تصرّف أيدي خائنة

ولن تدخل برج الحرس ولمن يهتزّ

وفي كلّ كتدرائية

تجد أجراس حلزونية

وفي غرناطة أيضا الحمراء

الحمراء الحمراء القصر الذي كان للعباقرة

في ترويقه كحلم مملوء بالانسجام

قلعة فيها أسوار صدفية قديمة

أين نسمع في ليلها الهادئ موسيقاها السحرية

أما القمر يمر إشعاعه من بين أقواس عربية

ينتشر بذلك ألوان بيضاء برسيمية

في غرناطة هناك الكثير من العجائب

ليس لها فقط الحبوب القرمزية

وفاكهتها الجميلة في أوديتها

غرناطة بحضرتها

عند انطلاق المعركة

تدور حول أجنحتها

وتسمع مئة مرة ضعف طلقات نارية

وبذلك تشع غرناطة

في جبهات المحاربين

ليس هناك أجمل ولا أعظم في الكون

من (فيفاتوريا) و(فيف كونليد)

تنشر الطبول والأجراس المزينة

وتتويجها الملتهب مثل تتويج الخليفة

يكون كذلك للعريف

وتتويجه يرتفع عاليا ويضيء

أما أبواق الأبراج القرمزية

ترن مثل أصوات النحل

والرياح تحصد لأسراب

أما في الكاكفار وحفلاتها

فيها أجراس مختلفة

تدندن في كل الأوقات

في الأبراج الإفريقية

تثير سكانها

بنغمات (البيسين)

غرناطة تبيد كل منافسيها، غرناطة

تنشد بأكثر رخاوة بلحن غرامي

تلون منازلها بأجمل الألوان

ونقول من ثم أن الرّياح حسبت أنفاسهم

في يوم من أيام سهول غرناطة

أين تنشر النساء والأزهار

العرب وأجدادهم

المورسيين لها فقط

مغامرين خطيرين

ينتقلون بين آسيا وافريقيا لكن غرناطة كاتوليكية

تسخر منهم غرناطة

غرناطة المدينة الجديدة

ستكون إشبيلية أخرى

إذا أرادوا تقسيمها.

أفريل 1828.

2- ترجمة ثانية لقصيدة غرناطة:

وقد أورد "روحي الخالدي" ترجمة أخرى لقصيدة "غرناطة" في كتابه (تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوجو).

لا توجد مدينة لا بعيدة ولا قريبة، لا عربية ولا إسبانية تنازع غرناطة الجميلة في تفّاحة الحسن، ولا تظهر أكثر منها أبهة شرقية ولا رشاقة تحت السّماء ألطف من سماتها، قادس فيها النّخل مرسية أشجار البرتقال جيان فيها القصر القوطي ذو القلل الغريبة، غرّد فيها الدير الّذي بناه القدّيس أدمون سيفونة فيها الهيكل الّذي تقبل أعتابه وفيها قناة قائمة على ثلاثة صفوف من القناطر تجر إليها المياه من قمة الجبل، ليير فيها الأبراج.

برشلونة فيها عمود على رأسه منارة مطلّة على البحر. تود له (تطيله) راعية لصداقتها ملوك أراغون وهم في قبورهم العتيقة وحافظة لصولجانهم الحديد، طلوشة فيها سوق الحدادين المظلم كأن دكاكينه في الدجا مناقذ على جهنّم.

السّمكة الّتي شفت في غابر الأزمان عين طوبيا من العماء تلعب في جوف الخليج الّذي رقت فيه (فونتارابي).

اليقانت تمتزج فيها المآذن "بالجرسيات" قومبو، ستله فيها قديسها، قرطبة فيها الدور العتيقة وفيها الجامع الّذي تحار العين في عجائبه، مادريد فيها نهر مانزانارس، يليا وتغطّيها أمواج البحر ويكسي المرج الأخضر سورها المسودّ من الهرم، مدينة ذات الشّجاعة العظيمة تخفي فقرها من كبرها تحت رداء دوقاتها وليس لها شيء سوى شجر الجميزلان قناطرها الجميلة من بقايا العرب وقنواتها من بقايا الرّومان، بلنسية فيها جرسيات كنائسها الثلاثمئة، القنطرة ذات التقى أسلمت لهبوب النّسيم رايات التّرك المعلّقة في عواديمها، سلمنكة تجلس وهي ضاحكة على ثلاث تلال وتنام على نغمات الأوتار وتستفيق مذعورة من جلبة أولاد المكاتب الصّغار، طرطوشة غالية على القدّيس بطرس،

بوسيرده الغيبة فيها المرمر مثل الأحجار، تويه تفتخر بقلعتها المثمنة الشكل، طرّا كونة تفتخر بأسوارها الّتي بناها أحد الملوك، سمورة يجري من تحتها نهر دورو طليطلة فيها القصر العربي، إشبيلية فيها جيرالدة، برغة وضعت ثروتها على قمتها، بينافلور مركيزة، جيرونة دوقة، بيغارة كلّها زهدت في الحلي الفخمة، بامبلونة المظلمة متهيئة دائما للحروب وقبل أن تنام على ضوء القمر تقفل الأبراج المحيطة بها كالمنطقة.

فهذه المدن الإسبانية إما منتشرة في السّهول أو مرتفعة على الجبال وفي جميعها قلاع لم تضرب يد الأعداء فيها بالنواقيس، وفي جميعها كنائس جامعة لها جرسيات حلزونية الشّكل، ولكن غرناطة فيها الحمراء وما أدراك ما الحمراء قصر زوقته الجنّ وملأته بالمحاسن كأنما هو في الحلم، بل وقلعة ذات شرف مخرمة مقلبة، إذا جنّ اللّيل سمعت منها أصواتا سحرية، وإذا طلع القمر من وراء أقواسها العربية الكثيرة وانعكس نوره على الجدران أحدث عليها نقوشا بيضاء عجيبة.

غرناطة فيها من العجائب أكثر ما في الرّمّانة من الحبّ الذي لونه كلون العقيق وينبت الرّمان في وديانها بكثرة، غرناطة اسم على مسمّى غرناطة إذا اشتعلت نار الحرب فقعت في وجوه أعدائها أشدّ من فقع القبلة الحمراء بمائة مرّة.

إذا أجابت (فيفانوبن) (فيقافولند) بدفنها المزين بالأجراس أو تتوجت (جنة العريف) بالنّور وأمست كأنّها خليفة ورفعت في ظلام اللّيل قمتها المضيئة فلا شيء أجمل من ذلك ولا شيء أعظم من ذلك، وتعزف الأبواق من (أبراج العقيق) كأنّها جمهور نحل تسوقه الرّيّاح، وفي القوافة نواقيس مهيئة دائما لإعلان الأفراح وتطنطن في أبراجها الافريقية لتوقظ من في البيضاء، غرناطة لا تجاريها الرّقباء ولا في شيء، غرناطة تغنّي الأغاني الرّقيقة بأرقّ مما هي، وتصبغ دورها بأبهى الألوان، ويقال بأنّ النّسيم يحبس أنفاسه إذا نثرت غرناطة في ليلة من ليالي الصّيف نساءها وأزهارها في سهولها.

جزيرة العرب جدّتها والعرب الرّحّل المقتحمون إنما قطعوا آسيا وإفريقيا من أجلها فقط ولكن غرناطة كاثوليكية، غرناطة ضحكت منهم، غرناطة تلك المدينة الطريفة لو أمكنها أن تكون اثنتين لكانت إشبيلية أخرى [1].

يعدّ تاريخ العرب في الأندلس من التواريخ المهمة التي شُغف الناس بقرائتها، لأنهم وجدوا في ذلك لذة روحية لم يجدوها في غيرها. فقصة الأندلس من القصص العجيبة والمثيرة للنفس، وذلك لما فيها من قصص بطوليّة **فيها جرأة طارق، وإقدام عبد الرّحمن الدّاخل، وعزيمة النّاصر، وعبقرية المنصور**، وفي هذا كله أمثلة عن الصّبر عند اليأس، والجلد على أشد المكر والتّمسك بالعقيدة والسيّف معا، وقد رقم المؤرّخون لهذه المدينة صفحات من ذهب وجعلوها معجزة من المعجزات [2].

ولا يُنكر المتصفّح للتّاريخ بناء العرب لمدن كثيرة جسّدت دينهم وحضارتهم على مرّ العصور، ولا تزال تلك المدن في طليعة المدن الزّاهرة تصوّر كلّها ماضي العرف العريق وتراثهم العلمي الخالد [3].

3 – نظرة مختصرة عن مدينة غرناطة:

قال "لسان الدّين بن الخطيب" في إحاطته: **«يُقال غرناطة ويُقال أغرناطة وكلاهما أعجميّ، وهي مدينة كورة البيرة بينهما فرسخان، والبيرة من أعظم كور الأندلس ومتوسطة ما اشتمل عليه الفتح من البلاد، وتُسمّى في تاريخ الأمم السّالفة من الرّوم سُنام الأندلس، وتُدعى في القديم بقسطلية وكان لها من الشّهرة والعمارة لأهلها من الثّروة والعدّة وبها من الفقهاء والعلماء ما هو مشهور»** [4].

---

[1]– روحي الخالدي: تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوجو، 215-218.

[2]– سنانلي لين بول: قصة العرب في اسبانيا، تر: علي الجارم، القاهرة: مؤسّسة هنداوي للتعليم والثّقافة، ط1، 2014م، ص9.

[3]– عبد الرّحمن زكي: غرناطة وآثارها الفاتنة، شركة نوابغ الفكر، ط1، 1431هـ/2001م، ص8.

[4]– الوزير محمّد لسان الدّين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مصر: شركة طبع الكتب العربيّة، ط1، ص11،12.

ولقد سمّيت غرناطة بسنام الأندلس أو دمشق الأندلس لأنّها تشبهها في كثرة أشجارها وغزارة أنهارها [1]، ويطلق عليها اسم شام الأندلس [2].

ولقد عبّر عنها **المقرّي** في كتابه نقلا عن **الشّقندي**: **«أمّا غرناطة فإنّها دمشق بلاد الأندلس ومسرح الأبصار ومطمح الأنفس ولم تحل من أشراف أمائل وعلماء أكابر وشعراء أفاضل»** [3].

مما سبق نقول بأنّ غرناطة كانت منذ القديم وإلى يومنا الراهن من أجمل المدن التي جسّدت حضارة العرب ودينهم على مرّ العصور، لذلك كانت محلّ اهتمام الكتّاب القدامى والمحدثين على حدّ سواء.

1- مريم قاسم طويل: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربري 403هـ/1012م، 1090م، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، ط1، ص29.

2- لسنا الدّين ابن الخطيب: اللّهجة البدرية في الدّولة النّصرية، تحقيق محمّد زينهم، الدّار الثقافية للنشر، د.، دت، ص18.

3- أبو العبّاس أحمد المقريّ: نقح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: إحسان عبّاس، ج1، بيروت: دار صادر، د.ت، 1986م، ص147-148.

*** الحدود الجغرافية لمدينة غرناطة:**

تقع مدينة غرناطة في جنوب الأندلس وذلك في الإقليم الرّابع من الأقاليم السّبعة، قال **ابن سعيد** عنها: «**حيث الطّول إحدى عشرة درجة وأربعون دقيقة**[1]**، ويقسمها نهر حدار وفي جنوبها نهر الثّلج ويمتدّ من جبل شلير** [2] **أيّ جبل الثّلج** [3] **حتّى وادي آش** [4]**. وغرناطة في شمال الجبل حيث يُطلّ الجبل الجنوبيّ على البحر**» [5].

المبحث الثاني: الحقول الدّلالية في قصيدة غرناطة

إنّ القراءة المتأنّية لقصيدة "**غرناطة**" تجعل الباحث من الوهلة الأولى يقسّم القصيدة إلى حقول دلاليّة واضحة المعالم، وهذا ما سوف نعرض له في هذا المبحث.

1- حقل المدن:

لقد غلب على قصيدة **غرناطة** ذكر أغلب أسماء المدن الاسبانية، ومنها:

* **قادس:** واحدة من أعرق المدن الإسبانية الساحلية في جنوب الأندلس وهي عاصمة مقاطعة قادس ومبنية على شبه جزيرة ضيقة وطويلة تمتد إلى داخل الخليج.

* **مُرسي:** هي مدينة تقع جنوب شرق إسبانيا على ضفاف نهر شقورة تطل على البحر الأبيض المتوسط وهي عاصمة منطقة مرسية.

1- أبو العباس أحمد القلشقندي: صبح الأعشي في صناعة الانشا، ج5، القاهرة: دار الكتب الحذيوية، د.ط، 1333هـ/1915م، ص212-214.

2- لأبو عبد الله الإدرسي: ترهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، القاهرة:مكتبة الثّقافة الدّينيّة، د.ط، 1422هـ/2002م، ص570.

3- جبال الثّلج: وهو في غاية الارتفاع والثّلج به دائما في الشّتاء والصّيف، يُنظر الإدريسي نفسه، ص569.

4- وادي آش: مدينة متوسّطة المقدار لها نهر دائم الجريان، ينظر: ابن الخطيب، المعيار، المصدر السّابق، ص112.

5- الإدريسي، نفسه، 569.

* **غريدا:** هي بلدية تقع في إسبانيا في مقاطعة سوريا.

* **سيغوفيا:** هي مدينة في إسبانيا، وتعدّ معلما سياحيا، اعترف بالمدينة كموقع للتراث العالمي بفضل ثلاثة مواقع موجودة بها، قصر ثيقوبية، قناة المياه في شيقوبية، كدراتية شيقوبية.

* **برشلونة:** تعدّ ثاني أكبر مدن إسبانيا بعد مدريد وعاصمة منطقة كتالونيا ومقاطعة برشلونة.

* **تولوس:** مدينة فرنسية عرفها الأندلسيون باسم طولوشة (طولوزة) تقع في جنوب غرب فرنسا بالقرب من الحدود الإسبانية.

* **أليكانت:** هي مدينة تقع شرق إسبانيا، هي ميناء تاريخي في البحر المتوسط، وعرفت باسم (لقنت) أيّام الحكم الإسلامي لها.

* **كومبو ستيلا:** هي إحدى بلديات مقاطعة لاكرونيا إحدى مقاطعات إسبانيا، تحوي ضريح "يعقوب بن زبدي" وهي مجمع لكثير من الرومان الكاثوليك.

* **قرطبة:** تقع في جنوب دولة إسبانيا على ضفة نهر الوادي الكبير، وتحتوي على عدد من المعالم الرّومانية والإسلامية القديمة، وهي من أشهر المدن السّياحية في إسبانيا وقد احتوت في أيام الخلافة الأموية على مكتبة عظيمة فيها أكثر من أربعة آلاف كتاب، وعلى جامعة عظيمة تدرس كافة أنواع العلوم وكانت تعدّ من أعظم الجامعات في العالم في وقتها، بالإضافة إلى مدارس مجانية لتعليم الطّلاب الفقراء وخرجت جمعا غفيرا من العلماء.

* **مدريد:** وكانت تعرف أيضا مجريط، وهي عاصمة مملكة إسبانيا، وتقع المدينة على ضفاف نهر مانثاناريس في وسط إسبانيا، تعدّ رابع أكبر مدن الإتّحاد الأوروبي بعد باريس ولندن وبرلين.

* **منزناريس:** [1] هي إحدى بلديات مقاطعة سيوداد ريال إحدى مقاطعات إسبانيا والتي تقع في منطقة قشتالة لامتنشا وسط إسبانيا.

[1]- Victor Hugo : les orientales.

* **بلياو**: تقع في الشمال الأوسط من إسبانيا، وهي عاصمة بيسكاي وتعتبر بلباو مركزا صناعيا وتجاريا، وهي كذلك ميناء بحري هام.

* **فالنسا**: من أجمل مدن العالم عامّة ومدن إسبانيا خاصّة، ويطلق على أهلها بعرب الأندلس، وهي من المدن البرية البحرية، حيث تكثر فيها الأنهار والأشجار، وتشتهر بهدوئها، بالإضافة إلى كونها من أجمل المناطق التي يقصدها السّياح، كما تشتهر بتصدير البرتقال.

* **ألكنتي**: هي المدينة الإسبانية على ساحل إسبانيا المطل على البحر المتوسط في فالنسيا، وأصبحت في السنوات الأخيرة وجهة أكثر شهرة بين البريطانيين والاسكندينافيين، وطقسها المعتدل والمشمس أسباب جعلت البريطانيين المتقاعدين يختارون هذه المدينة كمنزل ثان لهم.

* **سلامان**: تسمى المدينة الذّهبية، تشتهر بثقافتها المعمارية والدّينية وأيضا ثقافة فنّ الطّعام.

* **تورتوز**: طرطوشة إحدى مدن منطقة كتالونيا في إسبانيا، تعلو 12 متر عن سطح الأرض، على نهر أبرة، ويحدّها شمالا جبال كارد ومسيف.

* **بيوسردا**:

* **باستيل**:

* **تيي**:

* **دورو**:

* **زامور**: هي عاصمة محافظة زامورا الإسبانية، وتقع على تلة صخرية في شمال غرب البلاد، تتميز بجمال طبيعتها وعراقة بناياتها.

* **طليطلة**: عاصمة مقاطعة طليطلة تقع على مرتفع منيع تحيط به أودية عميقة وأجراف عميقة، تتدفق فيها مياه نهر تاجه ويحيط وادي تاجه بطليطلة من ثلاث جهات مساهما بذلك في حصانتها ومناعتها، وتعد طليطلة أكثر المدن تمثيلا للثقافة الإسبانية وتمّ اعتبار مركزها التّاريخي كموقع للتراث العالمي لليونيسكو في عام 1986م.

* **اشبيلية:** تشكل مزيجا رائعا بين الثقافة الإسبانية والحضارة المغربية في شمال إفريقيا، وهي من أجمل المدن الأوروبية لغناها التاريخي حيث تضمّ الكثير من الوجهات السّياحية في إسبانيا الرائعة من معالم أثرية وعمارات يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى.

* **جيرالدا:** هو برج قائم في اشبيلية، كان في السّابق مئذنة في مسجد عهد الموحّدين إلا أنّه أصبح اليوم برجا للأجراس ويعدّ جزءا من كاثدراتية اشبيلية.

* **برغش:** تقع في قاطالونيا بوسط شمال إسبانيا، وهي تضم متاحف عدّة تحوي بين مقتنياتها العديد من التحف الإسلامية.

* **بيافلوز:**

***جيرونا:** تقع على بعد مائة كيلومتر من برشلونة وهي مدينة مليئة بالمعالم التاريخية والثقافية المذهلة.

* **بيفار:**

* **بامبولونا:** هي مدينة تقع في شمال إسبانيا وهي عاصمة منطقة نافارا، تجتذب مسابقة الثيران التي تنظم تكريما للراهب "فيرمين" نحو مليوني زائر.

* **فيفاتوربا:**

* **فيف كونليد:**

* **الكاكفار:**

* **البيسين** [1]: حي ذو أصل أندلسي يقع في غرناطة ويعدّ وجهة أساسية لكثير من الزوار الذين يقصدونه لمكانته التاريخية والمعمارية ولمناظره الطبيعية.

[1]- Victor Hugo : les orientales.

* إنّ هذا الوصف الجميل والمطوّل لكلّ هذه المدن يبيّن للقارئ القصيدة مدى إعجاب الشاعر بهذه المدن الاسبانيّة والتي ظلّت راسخة في مذكّرته منذ رحلة الطّفولة وحكايات ألف ليلة وليلة التي كانت ضمن متطلّبات الرّحلة.

2- حقل الطّبيعة:

لا يُنكر الواحد منا أنّ **"فيكتور هوجو"** من أعمدة الحركة الرّومانسية في فرنسا، فقد اشتهر كواحد من الكتّاب الذين أطلقوا على أنفسهم **"الكتّاب الرّومانسيين"**، وربّما هذا ما انعكس على هذه القصيدة فقد كان يرمي نفسه بين الفينة والأخرى في ربوع الطّبيعة نذكر من ذلك قوله:

- تحت سماء تمتلئ اشعاعا.

- يجري فيها سيل من الماء من أعلى قمّة الجبل.

- يضيء فوق سطح البحر.

-مغطّاة بعُشبٍ أخضر.

- القابعة فوق ثلاث تلالٍ.

- قبل غروب الشّمس.

- الرّياح حبست أنفاسهم.

- في يوم من أيام سهول غرناطة

نلاحظ من خلال هذه الأسطر الشعرية أنّ "فيكتور هيجو" قد أبدع في وصف طبيعة المدن الأندلسية، لاسيما مدينة غرناطة. وقد استعان في هذا الوصف بمجموعة من الصور البيانية والتشبيهات مثل قوله: الرياح حبست أنفسهم، القابعة فوق ثلاث تلال، يضيء فوق سطح البحر.

3- حقل الأسطورة:

لقد اعتمد كثير من الشعراء على الجانب الأسطوري في الشّعر، بغرض توصيل المعنى، وتقريبه للقارئ وهذا ما نجده حاضرا في قصيدة غرناطة:

- **في ظلمتها الأشباح المخيفة.**

4- الحقل الدّيني:

«إنّ توظيف التّراث وشخصيات الموروث الدّيني في الشّعر العربيّ المعاصر، يعني استخدامها تعبيريّا لحمل بعد من أبعاد تجربة الشّاعر، يعبّر من خلالها أو يعبّر بها عن رؤياه المعاصرة» [1]

وهذه الظّاهرة أصبحت سمة بارزة في هذا العصر فهي الأرضيّة الصّلبة التي يقف عليها ليبنى فوقها حاضره لشّعر جديد على قواعد وطيدة وحصن متين [2].

وهذا ما استعمله "**فيكتور هوجو**" في قصيدة غرناطة فقد تحدث عن:

- **إسبانية أم مسلمة.**
- **لكن عرناطة كاثوليكية، ديرها المبني.**

تحدث "فيكتور هيجو" في هذه القصيدة عن الديانات التي كانت سائدة في إسبانيا بصفة عامة وغرناطة بصفة خاصة.

1- عشري زايد علي، استدعاء الشّخصيات التّراثية في الشّعر العربيّ المعاصر، ص6.

2- نفسه، ص8.

5- حقل المباني:

يشمل التّراث الشّعبي المعتقدات الشّعبية والمعارف والعادات والتّقاليد والثّقافة الماديّة والإبداع الأدبيّ الشّعبي من فنون شعبة وحكايات وحكم وأمثال وغناء شعبيّ، ولقد حرص الشّعراء على توظيف هذا الموروث، فهذا الموروث يربط الإبداع الأدبيّ بجذور الأمّة التي ينتميّ إليها.

ولقد استعمل "**فيكتور هوجو**" التّراث الشعبيّ في قوله:

- **يضيء فوق سطح البحر الملوك أراغون.**
- **ديرها المبني من طرف القديس أدموند**

تحدث الشاعر في هذه القصيدة أيضا عن الفن المعماري لمدينة غرناطة مثل دير القديس "أدموند" وغيره.

6- ذكريات الطّفولة:

تتداعى الصّور والكلمات إلى الأذهان في محطّات كثيرة، وذلك لتعيد إلى نفس الإنسان الحنين إلى مكان أو إلى ذكرى أو إلى شخص، وهذا ما نجده حاضرا بقوّة عند المبدعين من فنّانين وأدباء لأنّ كلّ واحد منهم يخزّن في ذاكرته قصص وحكايات وذكريات عاشها في مرحلة من مراحل حياته

كما يشير بعض النّقاد الفرنسيين إلى أنّ تجربة "**فيكتور هوجو**" القصيرة في إسبانيا، ولدت في الشاعر الافتنان "**بفنون القرون الوسطى**" والتّمعن في الدّيوان يظهر **تعلّق الشّاعر وافتنانه بفنون الحضارة الإسلاميّة** عندما كامن في أوجّ ازدهارها ونهضتها.

وأكثر ما شدّ الشّاعر إلى هذه المدن الشّرقية هو جماليات التّنوع والاختلاف التي لا تتجلّى في مكان أكثر من هذه المدن الاسبانية ذات الذّاكرة التّاريخيّة العريقة والهوّية الحضارية المتعدّدة [1].

إذن كلّ هذه المدن الاسبانيّة المنثورة في الأرياف/ أو النّابتة فوق سفوح التّلال/ كلّها ذات حصون وقلاع/ طالما حمتها من الخانيق/ كيّ لا تظلّ بين أيديّ الغزاة/ وفي كلّ منها الدرائية عظيمة/ ذات نواقيس جميلة لكن لغرناطة قصر الحمراء/ الحمراء آه الحمراء هذا القصر الذي شيّدته العبقرية كالحلم/ ليبدو آية في التّناسق/ تحيط قلاع ذات شرفات مزخرّفة عتيقة/ وفي اللّيل تتعالى من حوله أصوات ساحرة تناجي القمر إذ يطلّ غبر ألف مقرنصة عربيّة/ ليزرع الجدران بالنّقل الأبيض، ثمّ يتواصل رسم لوحات تصف المدينة التي يعشقها حتّى أنّ الرّياح تتوقّف عندما تمرّ بها.

- كيما تستمتع بمنظر المدينة.
- إذ تنشر نساؤها ووردها كلّ مساء [2].

إن تقسيم قصيدة غرناطة إلى هذه الحقول الدّلالية المتنوّعة جعلت من هذه المدينة معلما حضاريا ورمزا جماليا ميّز هذه المدينة بسحرها الخاصّ وآثارها العريقة والتي منحتها جمالا وبصمة شاهدة على حضارة المسلمين الذين تركوا بصمات واضحة في مختلف مدن الأندلس.

[1]- معجب بن سعيد الزّهراني: الشّرق والشّرقيون في ديوان فيكتور هوجو.

[2]- Victor Hugo : les orientales.

المبحث الثالث: حضور الشّرق في قصيدة غرناطة

1- جاذبيّة الشّرق:

* إنّ القراءة المتأنيّة لديوان الشّرقيات تكشف عن التّأثر الايجابيّ للشّاعر بالثّقافة العربيّة الإسلاميّة الشّرقية، وربّما هذا ما جعل هذا الدّيوان يتميّز وينفرد بخصوصيته ذات الطّابع الشّرقي.

ولكن هذه الدّراسة لم يُعطها احد من النّقاد حقّها، وقد لاحظ الدّارسون أنّ الباحثين الفرنسيين الذّين أنجزوا دراسات عن هذا الكاتب الفرنسيّ يميلون إلى التّعامل مع تلك التّأثيرات كما لو أنّها ظواهر عابرة أو ثانويّة ولكنّي أتّفق مع من يرى أنّ هذه التّأثيرات الشّرقية هي من أقوى العوامل التي شكلّت وعيه الذّهني والخياليّ الإبداعيّ وحدّدت بالتّالي الأفق الجماليّ لكتاباته الإبداعيّة في مرحلة حاسمة من حياته [1].

* وقد يتساءل الواحد منا لماذا اخترنا مدينة غرناطة كنموذج تطبيقي؟ نقول بأنّ بمجرّد سماع غرناطة يتبادر للأذهان سحر الشرق، ومعالم الحضارة الشرقية ورمز الثقافة الإسلامية:

أ- التقدّم العلمي والثقافي:

في العلوم المتعدّدة نجد مكتبة زاخرة قدّمت التآليف الكثيرة والإنتاج الضّخم، كما حافظت على ما خطّته يد العلماء الذين سبقوا وانتفعت به، وتوفرت الاختراعات، من مثل المدافع التي ترمي نوعا من المحروقات وتحويل البارود إلى طاقة قاذفة، ولا يزال متحف مدريد يزخر بالبنادق التي استعملها المسلمون في دفاعهم عن غرناطة.

1- معجب بن سعيد الزّهراني: الشّرق والشّرقيون في ديوان فيكتور هوجو.

ب- التقدّم الصّناعي والزّراعي:

ازدهرت صناعات كثيرة، فقد كانت هناك صناعة السّفن، ثمّ الأنسجة وصناعة الورق والفخّار المذهّب العجيب، وأنتجت الكثير في ميدان الأصباغ والدّباغة والجلود، وصناعة الحليّ، والصّناعات الفنيّة الدّقيقة. كما اشتهرت بالزّراعة ووسائل الرّيّ والعناية بها وأنواع المزروعات.

ج- التقدّم العمراني:

وتمثّل في المباني المختلفة، كالمساجد والقصور، والدّور، والقناطر، وقصر الحمراء الذي ما زال باقيا، ومزيّنا بالنّقوش الفنيّة الرّائعة [1].

ويمكن أن نحمل العوامل التي جعلت غرناطة معلما تاريخيا صامدا فيما يلي:

- وجود قيادة قويّة ومحكمة من بني الأحمر [2].

- قربها من جبل طارق [3].

- كانت بغرناطة كثافة سكانية عالية [4].

- حالة الصراعات الداخلية والتفكيك الذي ساد مماليك إسبانيا النصرانية في هذه الفترة حيث سادت الانقسامات داخل مملكة قشتالة، أكبر مماليك إسبانيا [5].

[1]- راغب السّرجاني: حضارة غرناطة، عظيمة الحضارة الإسلامية، 2011/02/27.

[2]- فتحي رغروت: النوازل الكبرى في التاريخ الإسلامي، مصر، الأندلس الجديد للنشر والتوزيع، ط01، 209، ص398.

[3]- طارق السويدان، الأندلس التاريخ المصور، الكويت، الإبداع الفكري، ط01، 2005، ص395.

[4]- راغب السرجاني: قصة الأندلس من الفتح إلى السّقوط، ج01، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، ط01، 2011، ص641.

[5]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص481.

ولعلّ من أهمّ الأسباب التي جعلت غرناطة مملكة صامدة هو نموها التاريخي منذ منتصف القرن الثالث عشر، فقد حاولت غرناطة تجنب الصدام مع قشتالة بشتى الوسائل، بما فيها رفع الجزية وتنازل بعض المناطق الاستراتيجية وحتى التعاون العسكري مع القشتاليين [1].

فمدينة غرناطة: <<حضرة نسية، والشّمس بها عن مدح المادح غنيّة كبرت عن قيل وقال وجلّت عن وامق وقال وقيّدت العقل بعقال وآمنت حال حسنها من انتقال لو خيّرت في حسن الوضع لما زادت وصفا ولا أحكمت رصفا ولا أخرجت أرضها ريحانا ولا عصفا ولا أخذت بأشتات المذاهب وأصناف المذاهب جدا ولا قصفا، كرسيها ظاهر الأشراف مطلّ على الأطراف، وديوانها مكتوب بآيات الأنفال وأعراف وهوائها صاف وللأنفاس مصاف، حجبت الجنوب عنها الجبال، فأمن الوباء، والوبال، وأصبح ساكنها غير مبال... واستوفت الشروط على الكمال، وانحدر منها فجاج الجليد على الرّمال، وانبسط بين يديها المرج الذي نضرة النّعيم لا تفارقه...>> [2].

كلها سمات ومعايير جعلت من هذه المدينة أسطورة ساحرة، فتن العرب بها وحتى الغرب لم يسلم من سحرها، وكلّ هذه الصفات الفاتنة ترجمها "فيكتور هوجو" بقلبه قبل قلمه وهذا ما تجلّى في قصيدة غرناطة.

[1]- عادل سعيد البشتاوي: الأندلسيون، مصر، مطابع انترناشيونال، ط01، 1983م، ص99.

[2]- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السّلماني: صفة مملكة غرناطة وهي مأخوذة من كتاب معيار الاختيار، مطبعة الدولية، د.ط، 1860، ص20.

2- قصر الحمراء:

يُعدّ قصر الحمراء في مدينة غرناطة من أهّم الصّروح المعماريّة التي تُبرز جمال الفنّ العربيّ، فهو مجموعة من المبانيّ التي شيّدت مبانيها في الثّلثين الأخيرين من القرن (**8هـ/14م**)، وممّا سهّل عليهم إقامته استغلال المياه المتوفّرة في أعالي الجبال عن طريق النّوافير والبرك الاصطناعيّة [1].

وقد أشار أغلب المؤرّخين أنّ سبب تسميته ترجع للّون التّربة وجُدرانه الخارجيّة [2]، أمّا بالنّسبة لبني أحمر فقد أكّد "**محمّد طوخي**" أنّ اسمهم لا علاقة له باسم القصر، فهو محظ صدفة، ومع مرور الوقت ارتبط الاسمين اسما وثيقا، وصارت الحمراء وبنو الأحمر قلبا وقالبا، فاتّخذوه شعار لهم في حياتهم [3].

أمّا بالنّسبة لزخارفه فقد استعمل الغرناطيون الجصّ المضروب في قوالب، وذلك من أجل متانته وقدرته على مقاومة التّقلبات الجويّة، ولهذا نجده قد حافظ على كيانه مدّة خمسة قرون دون احتياجه لترميمات [4].

إذن كلّها عوامل جعلت من هذه المدينة رمزا للجمال ومنبع إلهام، فقد كانت حاضرة بقوّة في قصيدته وكأن القارئ يحسّ بأنّ الشّاعر كان يعبّر عنها بقلبه لا بقلمه.

وفي غرناطة أيضا الحمراء

الحمراء الحمراء القصر الذي كان للعباقرة

في تزويقه كحلم مملوء بالانسجام

1- وات منتعمري: في تاريخ اسبانيا الإسلاميّة، تر: محمّد رضا المصري، لبنان: دار المطبوعات، ط4، 1998، ص172.

2- عدنان فائق عنتباوي، حكايتنا في الأندلس، بيروت: دار المؤسّسة العربيّة، ط1، 1989، ص273.

3- محمّد الطّوخي، المرجع السّابق، ص274.

4- سامي الكيالي: في الرّبوع الأندلسيّة، سوريا: دار مكتبة الشّرق، د.ط، د.ت، ص50.

قلعة فيها أسوار صدفية قديمة

أين نسمع في ليلها الهادئ موسيقاها السّحرية [1].

وافتتان الشاعر بقصر الحمراء يرجع إلى تاريخ هذا المعلم التاريخي فقصر الحمراء واحد من أروع الآثار الأندلسية الباقية، فهو من أجمل الآثار الأندلسية وأروع الآثار الإسلامية لما حواه من بدائع الصنع والفنّ، والحمراء مجموعة أبنية محاطة بأسوار تقع على ربوة عالية تسمى السبكة في الجانب الشمالي الشرقي من مدينة غرناطة. وهذه الأبنية على ثلاثة أقسام: القسم العسكري، ويقع شمال شرقي القصر، وهو عبارة عن قلعة تحرس الحمراء ولها برجان عظيمان، ثم القصر الملكي في الوسط ثم الحمراء العليا المخصّصة للخدم.

يتحدث القصر عن مملكة غرناطة، وملوكها وحضارتها، وآثارها وجهادها دفاعا عن استقلالها، حينما غدت آخر معاقل العرب والمسلمين في شبه جزيرة إيبريه. يتميز موقع هضبة الحمراء بجمال الطبيعة، ويطلّ من جهة الشّمال والغرب على مدينة غرناطة وبرجها البديع، كما يشرف من جهة الشرق والجنوب على آكام (جبال سييرا نيفادا) (Sierra Nevada)، المعرفة عند العرب باسم جبل شيلر أو جبل الثلج.

وقد غرست في ساحات القصر وأفنيته الرّياحين والزّهور الفائقة الجمال، حتى أصبح هذا القصر مثلا في الظلّ الممدود والماء المسكوب والنسيم العليل.

هذا هو قصر الحمراء في غرناطة، أحد صروح العرب الخالدة في الأندلس [2].

كلها خصائص ميّزت هذا القصر وجعلته من أجمل الآثار الأندلسية وأروع الآثار الإسلامية، لذلك فُتن الشاعر به وظلّ ذلك المعلم الجميل راسخا في مذكّرته فجسّده في قصيدته بأبيات جميلة جدا.

---

[1]- Victor Hugo : les orientales.

[2]- مجلة البيان (قصر الحمراء ... شاهد على روعة الحضارة الإسلامية في الأندلس)، 02 يوليو 2013.

عالجت هذه الدراسة ملامح الشرق في ديوان الشرقيات للشاعر الفرنسي "فيكتور هوجو" هذا الديوان الذي كان ولا زال محل انشغال الكثيرين ومصدر تساؤلهم عن العلاقة التي تربط الشاعر الفرنسي بالعالم الشرقي.

وقد توصلت في هذه الدراسة الى نتائج لا تمثل كشفا في حد ذاتها، بقدر ما تمثل إسهاما مقتضبا يمكن أن يضاف الى الجهود المبذولة والقليلة في الحقيقة، في سبيل إظهار صورة الشرق في ديوان "فيكتور هيجو" وقد خلصت هذه المحاولة إلى جمل من النتائج نجملها في الآتي:

* يطلق الأدب العالمي عن الأدب الذي خرج عن نطاق اللغة التي كتب بها إلى أدب لغة أو آداب لغات أخرى.

* يعتبر الأدب العربي من زمرة الآداب العالمية التي تحمل صفة الشمول الإنساني، فاللغة العربية لغة حية تسربت إلى مختلف الشعوب على مر العصور.

* ظهر تأثير الأدب العربي جليا في الآداب الأخرى ويكفي الوقوف على بعض النماذج البشرية في الأدب العالمي كـ: قصة حي بن يقظان، كتاب ألف ليلة وليلة، شخصية يوسف وزليخة وغيرها من النماذج التي تظهر ذلك التأثير.

* الأدب الفرنسي من الآداب التي ظهر تأثير الأدب العربي جليا فيها وذلك من خلال نماذج ذاع صيتها في الدراسات المقارنة ومن تلك النماذج: شعر التروبادور وحكاية "الخرافات".

* اتصلت فرنسا بالشرق وتعرفت عليه وسحرت به إبان حملة نابليون بونابرت وقد ظهر هذا التأثير في مؤلفات كثيرة من الكتاب الفرنسيين: فولتير في روايته زاديك، تيوفيل غوته في روايته المومياء....

* يعد فيكتور هوجو من ألمع شعراء فرنسا على مر العصور، وذلك لموهبته الخارقة في الخيال الموضوعي والبراعة في التصوير، كما أنه لم يترك بابا من أبواب الشعر إلا طرقه ولا قضية إلا بحث فيها.

* شهدت حياته كثيرا من الظروف السياسية فكان لسان حال الأمة وترجمانها في كل انقلاب وهذا ما جعل منه شاعرا مشهورا.

* تعد زيارته لإسبانيا من المحطات البارزة في حياته فقد قرأ خلال تلك الفترة نسخة من ألف ليلة وليلة، وقد فتحت حكاياتها العجيبة مخيلة الطفل واطلقت العنان لأحلامه باتجاه تلك الفضاءات الشرقية البعيدة والمدهشة والتي تتراءى صورها الخلابة مرة في الحكايات ومرة في المدن الإسبانية المليئة بآثار الشرق الحضارية الحية.

* تعددت الآراء حول فكرة إسلام فيكتور هوجو بين مؤيد ورافض، ولعلّ المؤيد للقضية هو هو القصيدة الطويلة في وصف سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلّم، والتي أطلق عليها السنة التاسعة للهجرة.

ولم يكن "فيكتور هيجو" يهوديا ولا نصرانيا وتبرأ من أصحاب هذين الدينين، وقيل بأن فيكتور هوجو لم يكن يعرف حقيقة الدين الإسلامي، ولا أمعن النظر في آيات القرآن، ومع ذلك فهو موحد اعترف في كثير من أشعاره باعتقاده بالله واهتدى للتوحيد بنظره في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وهذا الرأي في اعتقادي أقرب إلى الصواب والمنطق والقضية يمكن أن تكون عنوانا لبحث مستقل.

* على الرغم من أن إقامة "فيكتور هوجو" في إسبانيا كانت قصيرة (1811م/1812م) إلا أنها سمحت له باكتشاف بلد جديد تختلف أنماط حياته ومظاهر عمرانه عما تعود عليه في إسبانيا وخاصة تلك القصور والمساجد المزينة بآيات قرآنية وبنقوش زخرفية عربية، وهذا من بين الدوافع التي حملت الشاعر الى تأليف (ديوان الشرقيات)، هذا العنوان الذي يحمل معان عميقة

* يضم الديوان قصائد متعددة ومتنوعة في موضوعاتها فقد تحدث فيها عن المرأة الشرقية تلك المرأة التي تحمل صفات الشقاوة والنضوج والحنان مما يجعلها متميزة بين نساء العالم، وقد كان

الشاعر في ديوانه مولعا بذكر المدن الشرقية وتفنن في التعبير عنها بصور إبداعية لا مثيل لها، كما رسم أيضا صورة الرجل الشرقي من زوايا مختلفة في قصائد عديدية.

* غرناطة من أجمل قصائد الديوان الذي ألفه "فيكتور هوجو" ديوان الشرقيات فهي تعبير صادق عن إعجاب الشاعر الفرنسي بالمدينة الإنسانية التي ظلت راسخة في مذكرته منذ رحلة الطفولة وهي تعلم القارئ كيف يكون الابداع بالخيال والقلم معا.

ملحق الصور

فيكتور هوجو

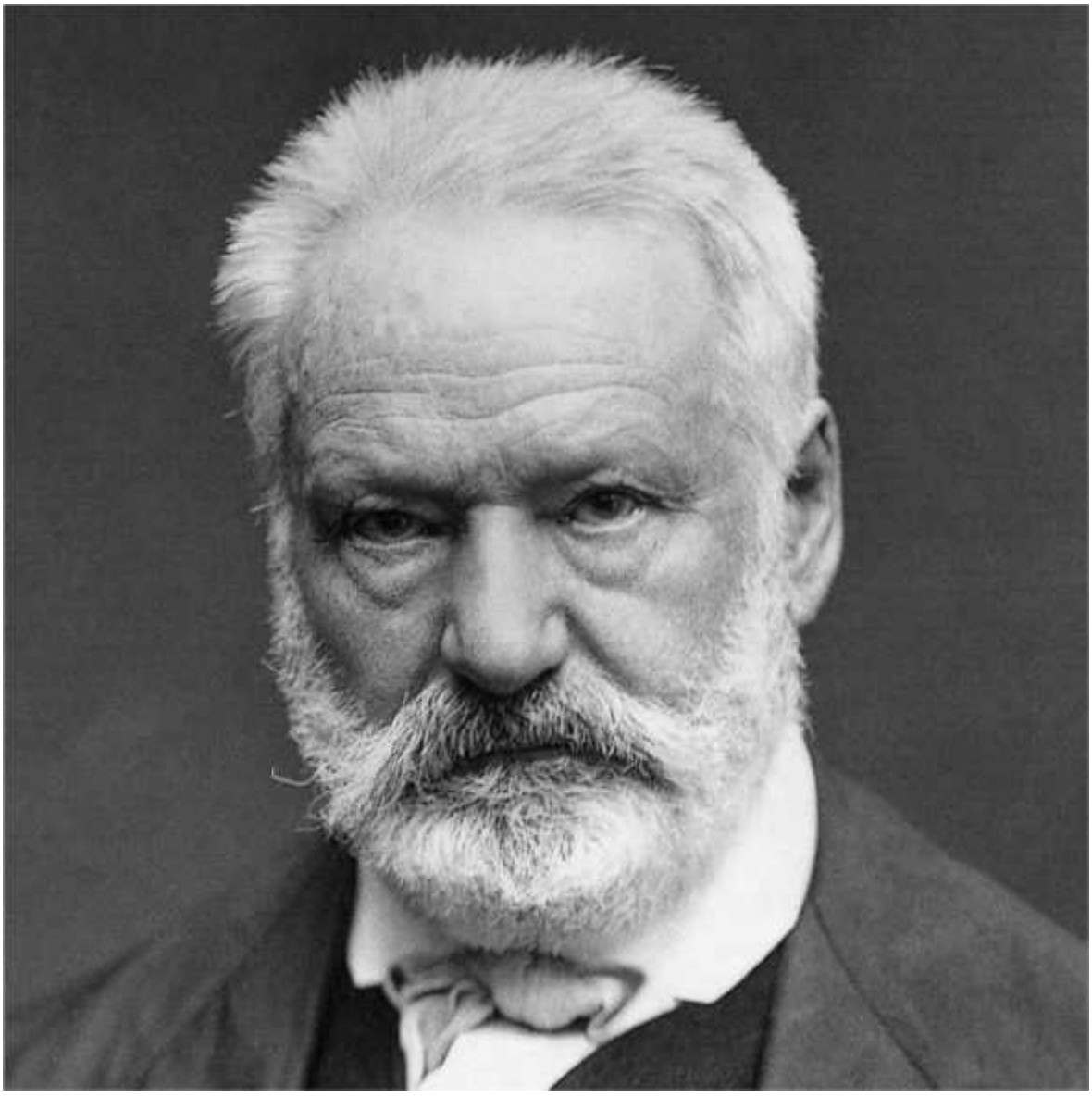

Les Orientales, Victor Hugo

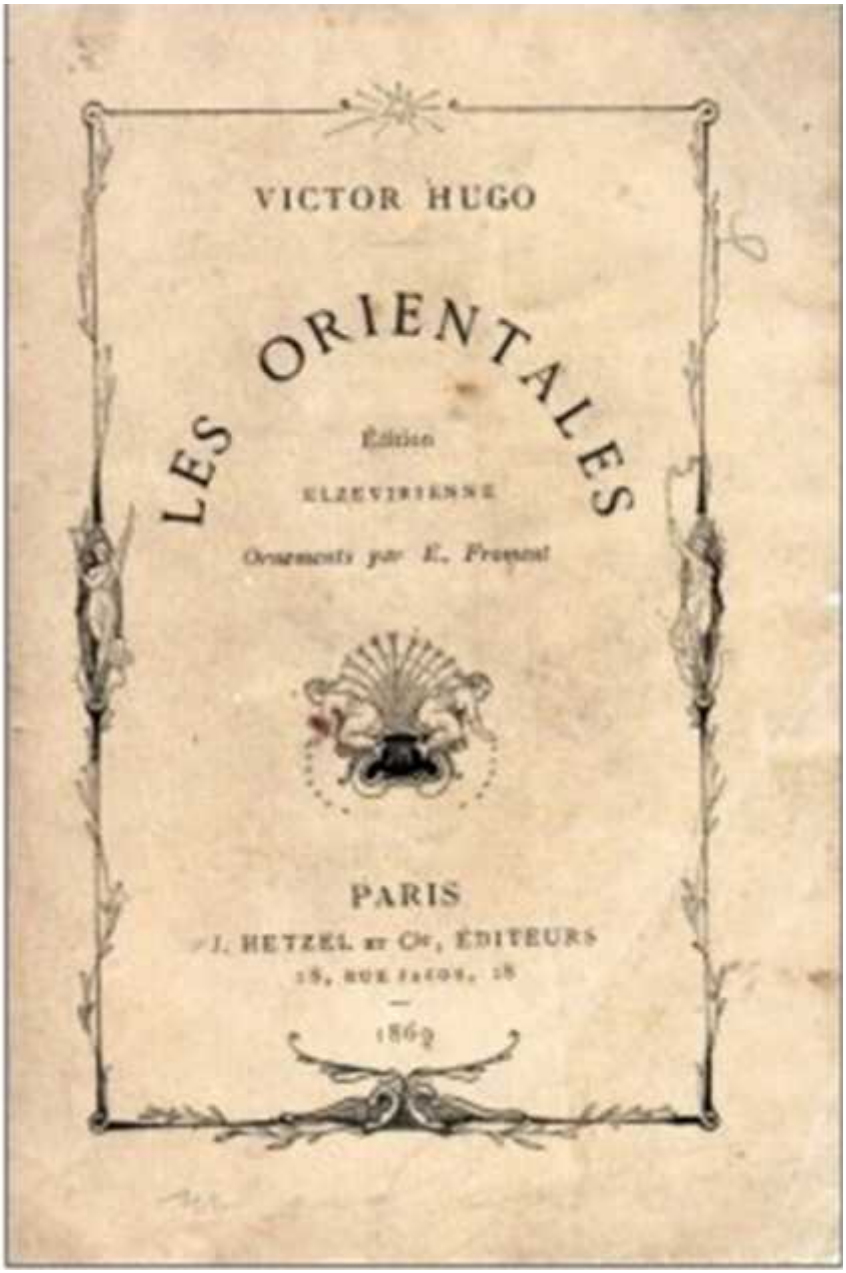

قصر الحمراء

مدريد

بلنسية

إشبيلية

خريطة إسبانيا بالعربية

مورسيا

غرناطة

القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم بالرّسم العثماني، مصر: القاهرة، مركز الكتاب للنشر، 2007م.

1). المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مرزوق: القاهرة دار المعارف الثقافية للنشر، ط01، 1428هـ/2007م.
2. ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة، تح: عمر الفاروق الطباع، بيروت: دار القلم، د.ت، د.ط.
3. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، القاهرة: مطبعة السعادة، د.ط 1963م.
4. أبو العباس أحمد القلشقندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج01، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، 1422هـ/2002م.
5. أبو العباس أحمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخذيب، تحقيق إحسان عباس: ج01، بيروت، دار صادر، د.ط، 1968م.
6. أبو عبد الله الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج01، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، 1422هـ/2002م.
7. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السّلماني: صفة مملكة غرناطة وهي مأخوذة من كتاب معيار الاختيار، مطبعة الدّولية، د.ط، 1860م.
8. الأدب المقارن: محمد غنيمي هلال، مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط08، 2007م.

9. جان جينيه: أربع ساعات في شاتيلا، تر: محمد برادة، دار دراية للنشر، د.ط، د.ت.

10. الجزار محمد فكري: العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1998م.

11. حسام الخطيب: الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة، الدوحة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، د.ط، د.ت.

12. داود سلوم: الأدب المقارن في الدراسات التطبيقية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط01، 1424هـ/2003م.

13. راغب السّرجاني: قصّة الأندلس من الفتح إلى السّقوط، ج01، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنّشر والتّوزيع، ط01.

14. رجاء ياقوت: الأدب الفرنسي في عصر النّهضة، القاهرة، دار المعارف، د.ت، د.ط.

15. سامي الكيالي: في الرّبوع الأندلسية، سوريا، دار مكتبة الشّرق، د.ط، د.ت.

16. ستانلي لين بول: قصة العرب في إسبانيا، تر: علي الجارم، القاهرة ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط01، 2014م.

17. صلاح يوسف عبد القادر: في العروض والإيقاع الشعري دراسة تحليلية تطبيقية، الجزائر، شركة الأيام للطباعة المحمدية، ط01، 1997م.

18. طارق السّويدان: الأندلس التّاريخ المصوّر، الكويت، الإبداع الفكري، ط01، 2005م.

19. الطاهر أحمد مكي: الأدب المقارن، القاهرة، 46 ميدان الأوبرا، ط01، 1407هـ/1967م.

20. عادل سعيد البشتاوي: الأندلسيون، مصر، مطابع انترناشيونال، ط01، 1983م.

21. عبد الرحمن زكي: غرناطة وآثارها الفاتنة، شركة نوابغ الفكر، ط01، 1431هـ/2001م.

22. عبد اللطيف سلمان: تاريخ الفنّ والتّصميم، د.ت، د.ط.

23. عدنان فائق عنتباوي: حكايتنا في الأندلس، بيروت، دار المؤسسة العربية، ط01، 1989م.

24. عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.

25. غوستاف لوبون: حضارة العرب، تر: عادل زعيتر مؤسسة الهنداوي، القاهرة، د.ط.

26. فتحي زغروت: النّوازل الكبرى في التّاريخ الإسلامي، مصر، الأندلس الجديد للنّشر والتّوزيع، ط01.

27. فيكتور هوجو: البؤساء، ج01، تر: منير البعلبكي، لبنان، دار العلم للملايين، ط01، 2008م.

28. الكبيسي عمران: خضير حميد، لغة الشعر العراقي المعاصر بيروت، لبنان، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، د.ط، 1982م.

29. لسان الدين بن الخطيب: اللّهجة البدرية في الدّولة النّصرية، تح: محمد زينهم، الدّار الثّقافية للنّشر، د.ط، د.ت.

30. مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب، بيروت، مكتبة لبنان، ط02، 1984م.

31. محمد الصاوي الجريني: في الأدب العالمي، منشأة المعارف، د.ط، د.ت، ج03.

32. مريم قاسم طويل: مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربري، بيروت/لبنان، دار الكتب العلمية، ط01، 403هـ-483هـ/1012هـ-1090هـ.

33. المقري التلمساني: نفح الطيب، ج03، المطبعة الأزهرية، د.ط، 1302 هـ.

34. وات منتعمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، تر محمّد رضا المصري، لبنان، دار المطبوعات، ط04، 1998م.

35. الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مصر، شركة طبع الكتب العربية، ط01.

2). المراجع الأجنبية:

1. Jean de La fontaine: fables de La fontaine, Tom premier, Paris, 1995.

2. Victor Hugo: les orientales, Source Gallica, bnf/bibliothèque nationale de France, 1882.

2. Voltaire: Zadig ou La Destinée, Candide et Cyrano, M.DCC, XLIX, University of Oxford, 1956.

3). الندوات والملتقيات:

1. الشريف محمد بن علي الحسني : منتديات الأشراف أون لاين ،قصيدة فيكتور هوجو في رسول الله صلى الله عليه ،2012/07/16م.
2. شريفي عبد الواحد، ألف ليلة وليلة في الغرب، منتدى ستار تايمز، 02:21، 2011/09/20م.
3. غدير أحمد عبد القادر: المذاهب الأدبية الكبرى وأثرها على الأدب العربي (منتديات الأدب العربي واللّغات والفنون)، جامعة ورقلة، 11 أكتوبر 2010م، 11:15.
4. مقتطفات عن ملامح حياة الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو، منتدى المقالات الأدبية والمكتبة الأدبية المتكاملة (مقتطفات عن ملامح الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو)، 22 أوت 2011م، 12:10.
5. منتديات الثقافة والأدب :سلسلة أعلام الأدب العالمي:فيكتور هوجو الشغوف بالحرية...الثائر على الموت ،23-05-2012م،17:25.

1. في ذكرى مولد فيكتور هوجو: منتدى الواحة الهجرية، 29 جوان 2007م، 09:13.
2. حنان عبد الرحمن: منتديات واحة الإعاقة والأمل.
3. أمير الأدب الفرنسي (منتدى الشخصيات التّاريخية والأنساب والقبائل العربية) أمير الأدب الفرنسي، 07 سبتمبر 2007م، 03:15.

4. معجب بن سعيد الزهراني، الشرق والشرقيون في ديوان فيكتور هوجو، (ملتقى الصداقة)، 1421/2001هـ.

4).المقالات:

1. إبراهيم أحمد: جريدة البعث، شعر التروبادور، صورة من التراث العربي في الأندلس، العدد 15122، 2014/08/14م.

2. إبراهيم العريس، مجلة الحياة (ألف وجه لألف عام) رواية المومياء لغوتيه، الفن للفن لا يمنع التسامح، 1423/10/05هـ، العدد 14507.

3. بسيوني محمد شريف، الوثائق الدولية المعنية بحقوق الإنسان، المجلد الثاني، القاهرة، دار الشروق، 2003م.

4. جودت هوشيار: الأدب العالمي مفهومه وقضاياه، مجلة بانسيور، 27 يوليو 2016م.

5. حامد العظم، صورة الشرق في الأدب الفرنسي من الأسطورة إلى الدونية، 23 مايو 2016م.

6. حسونة المصباحي: فيكتور هوجو، نسر الشعراء الفرنسي، 2016م، 13:51.

7. كريم أحمد: مقال (الشعر الرومنسي)، 13 مايو 2018م.

8. مجلة البيان (قصر الحمراء ... شاهد على روعة الحضارة الإسلامية في الأندلس)، 02 يوليو 2013م.

9. محمد رشد، مدخل نظري لدراسة العنوان، مجلة ديوان العرب، الثلاثاء 11 فبراير 2014م.

10. الموسوعة العربية الشاملة: مقال الأدب الفرنسي، 2009م.

11. مؤيد عباس، حضور الشرق في الأدب الفرنسي، الخميس 28 مارس 2013، 08:11.

12. نعمة عز الدين، مجلة إرم نيوز (سحر الشرق بعيون جنيه وغوته وهوجو)، 22 مايو 2016م.

13. ياسر الدوسري، أثر كتاب ألف ليلة وليلة على السرد الفرنسي، 03:54، 2010/01/22م.

14. The huffington post news team، صورة الشرق في الأدب الفرنسي من الأسطورة إلى الدّونية، 23 مايو 2016م.

5).الرسائل الجامعية :

1. جماليات التكرار وآلياته في التماسك النّصي (قصيدة مديح الظلّ أعالي للشاعر محمود درويش أنموذجا): علي بوعلام، جامعة وهران، شهادة ماجستير، 1437هـ/1438هـ، 2016م/2017م.

2. شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر: مسكين حسنة، داوود محمد، جامعة وهران، أطروحة دكتوراه.2013م/2014م.

6). المواقع الالكترونية:

1. سلسلة أعلام: فيكتور هوجو، الشغوف البحرية ... الثائر على الموت
www.sooqukaz.com
2. موقع المخترعون العرب: فيكتور هوجو، أمير الأدب الفرنسي www.mawhopon.net
3. http://www.bacdefrançais.net/rime.php
4. http://poesie.webnet.fr

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	أ
مدخل: صورة الشرق في الأدب الفرنسي	**01**
توطئة.....	**02**
المبحث الأول: حيوية الأدب العربي (عالميته).....	**02**
I). ما المقصود بعالمية الأدب:.....	**02**
المبحث الثاني: تأثير الأدب العربي في الآداب الأخرى.....	**06**
I). النموذج البشري العربي في الأدب العالمي:.....	**06**
المبحث الثالث: حصور الشرق في الأدب الفرنسي.....	**09**
I). تأثير الأدب العربي في الأدب الفرنسي:.....	**09**
II). عالم الشرق في مؤلفات الفرنسيين:.....	**11**
الفصل الأول: محطّات موجزة في حياة "فيكتور هوجو"	**16**
المبحث الأول: حياته وأعماله.....	**17**
1- تعريف الرومنسية:.....	**17**
2- الأدب الفرنسي:.....	**17**
3- مولده ونشأته:.....	**19**
4- آثاره:.....	**20**
المبحث الثاني: زيارته لإسبانيا.....	**25**
المبحث الثالث: إسلام فيكتور هوجو.....	**28**

* موقف الكنيسة من إسلام "هوجو":	51
الفصل الثاني: قراءة في ديوان الشرقيات	54
المبحث الأوّل: ترجمة المقدمتين الى اللغة العربية	56
1-ترجمة المقدّمة الأولى إلى اللّغة العربية.....	67
2-ترجمة المقدّمة الثّانية إلى اللغة العربية: مقدّمة فبراير **1829**م.....	72
1). سبب تأليف الدّيوان:.....	73
2). الظروف السياسية التي ألف فيها الديوان.....	74
المبحث الثاني: تحليل مبنى القصيدة.....	76
1- دراسة العنوان:.....	76
2- سبب تأليف الديوان:.....	77
المبحث الثالث: تحليل مضمون الديوان.....	116
1- المرأة الشرقية:.....	116
2- المدن الشرقية:.....	127
3- الرجال الشرقيون:.....	135
الفصل الثالث: أثر الشرق في قصيدة غرناطة	141
المبحث الأول:ترجمة قصيدة غرناطة **grenada**.....	142
1- ترجمة أولى لقصيدة غرناطة.....	146
2- ترجمة ثانية لقصيدة غرناطة.....	154
3- نظرة مختصرة عن مدينة غرناطة.....	156
المبحث الثاني: الحقول الدّلية في قصيدة غرناطة.....	158
1- حقل البلدان:.....	158
2- حقل الطّبيعة:.....	162

3- حقل الأسطورة:.....	**163**
4- الحقل الدّيني:.....	**163**
5- حقل المباني:.....	**164**
6- ذكريات الطّفولة:.....	**164**
المبحث الثالث: حضور الشّرق في قصيدة غرناطة.....	**166**
1- جاذبيّة الشّرق:.....	**166**
2- قصر الحمراء:.....	**169**
الخاتمة.....	**171**
ملحق الصور.....	**175**
قائمة المصادر والمراجع.....	**185**
الفهرس.....	**196**

الملخص:

يسعى هذا البحث كما يدّل عنوانه إلى تقصيّ السّمات الشّرقية في ديوان الشّاعر الفرنسيّ "فيكتور هوجو" وذلك من خلال التّطرق إلى تحليل بعض النّقاط ذات الصّلة بالموضوع.

وهدف من وراء هذه الدّراسة إلى إبراز العلاقة بين شاعر فرنسيّ وعالم شرقيّ لأنّ الصّورة قد تبدو ضبابية للقارئ في البداية وقد احترنا نموذج قصيدة غرناطة لفيكتور هوجو لتدعيم جانب البحث التطبيقيّ.

الكلمات المفتاحية: فيكتور هوجو – ديوان الشّرقيات – صورة الشّرق – غرناطة.

Résumé :

Cette étude essaye comme indique le thème à mettre en évidence les caractéristiques orientales présentés dans le recueil du poète français "Victor Hugo", en abordant l'analyse de certains points essentiels pertinents; Le but de cette étude est de montrer la relation entre un poète français et un poète oriental, car l'image peut apparaître incertaine pour le lecteur au début.

On a choisi pour cette recherche "Le Poème Grenade: Victor Hugo" pour renforcer le côté pratique.

Mot clés : Victor Hugo, Le Recueil oriental, l'image orientale, Grenade.

Abstract:

This study try as it is indicated in the title to show the oriental characteristics in the poatry collection of the French poet "Victor Hugo", in approaching the analysis of some essential pertinent points; The aims of this research exhibit the relation between a French poet and oriental poet because the picture may be appear unclear to the reader in the beginning.

We have choose for this study "The poem of Granada" to strengthen the applied side.

Key words: Victor Hugo, Oriental poatry collection, Oriental picture, Granada.